

روايات مصرية الحديث

6

أشياء تحدث ليلاً

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غريب تم تحريفه عن كلمة
(سافرية) عربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبينه معادية .. وأهال متشككين ..
بطلنا الذى سنقابله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..
وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..
نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لايمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيبتنا الشاب على
يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيباً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال وتجوب (السافانا) ونتسلى
البراكين ..

تعالوا تواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



١- فصل عن الأشياء التي تحدث ليلاً ..

ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء لا تحدث إلا نهاراً ، وأشياء لا تحدث إلا ليلاً ..
تلك الأشياء الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكننا
نجد منها المخيف والمفزع والمثير للتقزز والبشع
والمتنوع .. هكذا شأنها ، وإلا فلماذا لا تحدث إلا ليلاً ؟
أشياء تحدث ليلاً ..



ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء نعرف عنها كل شيء ، وأشياء لا نعرف
عنها أي شيء ..

تلك الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكنها تثير في النفس
قشعريرة باردة ككل ما تجهل .. وهي عين نظرة
الرعب التي تلتصق في عين طفل يقولون له أن يصافح
(أونكل) .. إنه يجهل (أونكل) لهذا يخشاه كالموت ..
أشياء تحدث ليلاً ..



ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء تلهو بها ، وأشياء تلهو بنا !

تلك الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكنها جميعا
لها مذاق الملح ، وبرودة الثلج ، وقسوة الصخر ،
ولا ميالة العدم ..

أشياء تحدث ليلاً ..



خذ عندك على سبيل المثال هذا الحادث :

كنت أنا ساهراً في غرفة الطوارئ بوحدة
(سافارى) ، أرشف القدح الثالث من القهوة - تلك
القهوة عديمة اللون والرائحة والطعم والمفعول - مع
طبيب ألماني مذعور دائماً اسمه (هانس) .. كنت
أثرثر معه وأسأله عن السبب الذي يجعل كل الألمان
اسمهم (هانس) .. ولم يفهم دعايتي لكنه قال في
كبرياء :

- « ليس كله (هانس) .. هناك (بيتر) و (أوتو)
أيضاً .. »

هنا دوى صوت عربة الإسعاف العين المولول ،
وهي تدنو لتقضى حملها الدامي فوقنا ثم تنصرف ..

اللعنة ! كانت الليلة هادئة وكل شيء يبشر بأن تظل
كذلك .. لم يبق على الصباح سوى ساعتين .. حرام
عليك أيها الجريح الذي لم يستطع أن يصبر قليلاً !
صوت النقالة البرتقالية إياها .. صوت الأحذية
المطاطية للمسعفين الذين يركضون وقد انحنى
ظهرهم ، وهم يجرون النقالة فوق الحصى الخشن
لمدخل الوحدة ..

ثم - ها هو ذا - ترى الجسد الممدد على النقالة ..
رجل هو أقرب إلى سن الشيوخ ، لا يكف عن الصراخ
والعويل .. لكنه صراخ الغضب لا الألم ، وعويل
الاحتجاج لا المعاناة ..

كان زنجياً ذا بشرة داكنة أكثر من اللازم .. نوع
السواد المائل إلى الزرقاء الذي تراه في أهل (كينيا) ،
ولا تراه في (الكامبيرون) أبداً .. إن سوادهم هنا
فاتح نوعاً به لمسة من اللون البني ..

كان شعره أشيب مجعداً طويلاً إلى حد ، وجسده
ضئيل قوى كجسد قط يرى .. وكان مقيداً إلى النقالة !
كان هذا المشهد معتاداً في (الكامبيرون) على كل
حال .. ينذر أن أرى مريضاً لم يقيد كالذبيحة إلى النقالة ..

ويحُث عن (بودرجا) - جهاز الترجمة المعتمد -
فلم أجده ، ووجدت واحدا يتسلل من الباب ليُلحق
بالعجوز ، وقد بدت عليه علامات الالهفة والقلق ..
إنه ابنه أو قريبه دون شك ..

كان الفتى حافي القدمين يرتدى (الثورت) ومن
فوقه فائلة داخلية ممزقة متسخة ، وكان لا يكف عن
التلويح وقول أشياء ..

سألت أحد الممرضين اللذين يجيدان الفرنسية :

- « ماذا هناك ؟ »

أغمض عينيه في مل ، وقال وهو يدس لفافة تبغ
بين شفتيه :

- « إنه مريض ! »

- « استحتاج لا بأس به .. لكن أريد أن أعرف

ما يشعر به .. »

ثم تذكرت فقلت له في ضيق :

- « ممنوع التدخين في المستشفى .. »

ابتسم بركن فمه ، وأشعل لفافة التبغ ، مما دلني
على براعتي وقوة تأثير شخصيتي ، لكني لم أكن في
ذهن رائق للمشاجرات على كل حال ، ثم إنني

لا أستطيع الشجار بالفرنسية .. لغة المرء الأم هي
اللغة التي يستطيع التناجر بها ، وما كان الأحق
ليفهم حرفاً من العربية ..

سألت زميله في ضيق مماثل :

- « ممّ يشكو ؟ »

تناول لفافة تبغ من صاحبه وأشعلها في بهجة ،
ونفث الدخان في وجهي ثم قال :

- « لا يشكو من شيء ! إنه مصرّ على أنهم
حمقى ، وأن عليهم أن يطلقوا سراجه حالاً .. لكن
هذا الـ »

ودسّ طرف اللفافة المشتعل في عين الفتى ليلفت
نظري إليه :

- « هذا الغلام .. يقول إن الرجل لا يكفّ عن
العواء والصراخ والهذيان .. »

تأملت الرجل وبحذر مددت يدي أتحنّس نبضه
(كان مقيداً في وضع المصلوب مما أتاح لي تحسس
معصمه) .. ثم سألت السؤال المنطقي :

- « ولماذا لم يقل لهم ساحر القبيلة إن هذه
(داوا) ، وإن الأرواح الشريرة احتلت جسد الرجل ،
ويقوم بطردها بطريقته الخاصة ؟ »

إبنى أدهش عندما تأتى للمستشفى حالة كهذه ..
ابتسم الرجل وأخرج دفتر (السركى) لأوقع عليه ..
وقعت باستلام المريض ، ثم طلبت الممرضين كى
ينقلوا هذا العجوز إلى فراش مناسب .. وهو فراش
نفحص عليه الحالات مبدئياً ..

قال لى المسعف وهو يطوى النقالة مع زميله :
- « إن ساحر القبيلة لم يقل له هذا الكلام لسبب
بسيط .. هذا العجوز هو نفسه ساحر القبيلة !! »
ثم أشار لزميله :

- « هيا بنا يا (جون) .. »

★ ★ ★

كان العجوز فى حالة هياج لا يمكن وصفها ..
وكان اتطباعى عنه صحيحاً منذ البداية .. وكل
اتطباعاتى صحيحة إلى درجة أن هذا صار مملاً - فى
أنه يشبه القط البرى .. ضامر الجسد شرس
كالشيطان ، به قوة تقهر ثلاثة رجال ..

وبالفعل وجدت نفسى مرغماً على تقييده بالشاش
إلى الفراش فى ذات الوضع السابق ، لكن رأسه ظل

حرًا يرتفع كراس الأفعى مهددا بالعض لكل من
يدنو أكثر .. مع لسان لا يكف عن إطلاق السباب
(التياتويد) الذى لم أفهم منه حرفا ، ولست نادما
على ذلك .. إن آخر سبب يفريك بتعلم لغة أجنبية هو
فهم الشتانم التى تطلق عليك ..

قال لى (هانس) وهو يملأ محققا بال (فالיום) :
- « سأعطيه جرعة الآن .. هذا سيجعل الأمور
أسهل .. »

هزئت رأسى فى غباء :

- « لا بأس .. وأمل ألا تكون حماقة منا .. »

واخترقت الإبرة الأوردة البارزة لتفرغ سحرها فى
دماء اثرجل القائرة ، فسرعان ما استحال المحيط
نهرًا .. وبدأ الرجل يهدأ ..
هنا أمكنتى أخيرا أن تأمله ..

★ ★ ★

لم يكن فى وجهه سوى عيني ..

كلا لم يكن وحشا من قصص الخيال العلمى يبدو
كعيني تمشيان على قدمين ، بل أعنى بذلك أنه كان
يملك عيني قويتين حقا ، ومن العسير دوما أن تتذكر
شكل فمه أو أنفه أو شاربه ..

ما سر قوة عينيه ؟ لا أدرى .. ولو استطعت
تفسيرها لكان سهلاً على أن أقسر سر قوة الشخصية
أو الحضور أو (الكاريزما) .. حقاً لا أمك تفسيراً ..
لكنى أكرر : كانت عيناك أقوى عيني رأيتهما في
حياتي ، بياضهما بنون العاج .. وسوادهما يشوبه
بعض اللون الرمادي .. وكنت الشعيرات محتقة في
ملتحمته مما جعلني أنكر عيني (دراكيولا) لحظة
امتصاص الدماء في أفلام (هامر) القديمة ..
طبعاً لن أقول هنا إن هاتين العينين كانتا ترقصان
رقصة الجنون في محجريهما .. فأران حبيبان
لا يكفان عن محاولة الهرب، وفي هذه اللحظة خطر لي
- وكنت محقاً - أن عيني كهاتين يجب إخفاؤهما
بضمادة ..

قرغت من خواطري ورحت أفعل ما يفعله أي
طبيب مع أي مريض في أي موقف مشابه .. الضغط ..
الحرارة .. النبض .. عينة دم ..
هنا لفتت الممرضة الكاميرونية (كريستينا)
انتباهي إلى سروال الرجل القماشي .. لقد فقد التحكم
في جهازيه البولي والهضمي معاً ..

أعدت تأمل وجه الرجل مبتعداً عن مخالف العينين ..
عرق غزير .. لعابه يسيل من شذقيه .. هياج ..
تبول لا إرادى ..

هذه علامات الحمى المخية .. هذا الرجل يعانى
التهاباً فيروسياً فى المخ ، وليشتقونى لو كان رأى
خاطئاً ..

لكن ما سببه ؟

استدرت لها وهمست فى أذنها :

— « أنا بحاجة لرأى د . (جابرييل) طبيب
الأعصاب .. من العسير أن أطلب رأى (آرثر شلبى)
الآن .. »



٢- لست على ما يُرام ..

أشياء تحدث ليلاً ..

بعضها يجلب معه الصخب ، وبعضها يمرّ دون
ضوضاء .. لكننا فيما بعد نعرف أنه كان أكثر بشاعة ..
وأن الصمت قد يتهذد ويثر ..
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

تعال مثلاً وأعطني رأياً في كل هذا :

لقد جاء د. (جابريل) الكاميروني ، وتفحص
حدقتي عين الرجل بكشاف صغير ، ثم أجرى بعض
اختبارات بالمطرقة على الجسد المقيد ..
سألته متلهفاً :

« ما رأيك ؟ »

لم يرد لأنه كان منهماكُم للغاية ، وقطرات العرق
تتبت على جبينه الأسود وتتساب على زجاج عويناته
فيجففها بمنديله ثم يقول لي :

« أعتقد أنك محق .. ثم لا أظن أنك لاحظت هذا ... »

ويشير بإصبعه الأسمر إلى أعلى فخذ الرجل ، وهنا استقطعت أن أرى آثار الأنياب التي مزقت اللحم تمريقًا .. إصابة شديدة لكنها قديمة هي أقرب إلى الانتقام ..

سأل الرجل بلهجة (الباتويد) عن شيء ما .. لكن الرجل أدار وجهه إلى الجانب الآخر وقال : اذهب إلى الجحيم .. كيف عرفت أنه قال ذلك ؟ ليس من العسير على بعض الإيماءات أن تكون بليغة إلى حد أنك تسمعها بلغتك حتى لو كانت باليابانية ..

كان الأمر قد صار واضحًا ..

هذه حالة متقدمة من مرض الكلب .. لقد عض حيوان ما هذا الرجل منذ فترة قد تكون أسبوعًا أو أسبوعين أو ثلاثة ، وقد وصل الفيروس اللعين الشبيه بالرصاصة إلى المخ ، وبالتالي لم يعد هناك ما يمكن عمله سوى جعل لحظات المريض الأخيرة محتملة الألم .. فلم ينج أحد من هذا المرض في

تاريخ الطب ، إذا ما بدأت اعراض الحمى المخية تبدو عليه ..

عض ؟ لا .. هذه خرافة شائعة .. مريض الكلب لا يعض ولا يعرى كالكلاب ، لكنه يصاب بهياج شديد يجعله كوحش كاسر .. وهذا المريض يهاب تيارات الهواء ويهاب الماء - لأنه يخشى آلام ابتلاعه - مما تصق بالمرض اسم (داء الخوف من الماء) أو (هايدروفوبيا) ..

سألت (جابريل) وأنا أبتعد غريزياً عن المريض :

- « هل ينكر أن حيواناً ما عضه ؟ »

- « نعم ينكر .. وهذا ديدن كل (الباتو) على العموم .. كأنما العض إهانة .. لكن المرء يتعلم في (إفريقيا) أن يلقي بكلمات المريض جاثياً ويعتمد على حدسه .. »

ثم هرش رأسه الأشعث وتساءل :

- « سأخذه عندي .. هل تعرف كيف تعالج حالة

كهذه ؟ »

« العلاج العرضي .. أمنع الألم والتهيج والصداع
وأمنعه من الإصابة بالتهاب رئوي .. »
« تمامًا .. يمكنك أن تأتي لتراه غذا لو كان
حيًا .. »

وحياتي وحيًا (هاتس) بهزتي رأس ثم انصرف ..
كان (هاتس) متصلبًا يرمق الرجل الممدد وقد بدا
عليه الذهول حتى إنني اضطررت لمناداته مرتين ، ثم
هزرت ذراعه هذا غير رفيق فتنبه واستدار لى ..

« أ .. معذرة .. كنت شاردا الذهن .. »

« عينا .. أليس كذلك ؟ »

نظر لى فى حيرة كأنه يقول : هل لاحظت الشيء
ذاته ؟ ثم قال وهو يهز رأسه :

« لست مستريحًا لهذا الرجل .. أرجو أن
تتخلص منه سريعًا .. »

« أشعر بالشيء ذاته .. »

ووقفنا نرشق الساحر الإفريقى ، الذى غزا
فيروس أسنعار خلايا مخه ، فكشفت
له الغلبة والكلمة الأخيرة ..

★ ★ ★



كان (هاني) متصلاً يرمق الرجل الممدد وقد بدا عليه الدهول
حتى إنه اضطررت لتأداته مرتين ..

عندما تنتهى نوبتجبة السهر تشعر أنك تمر تصب
حتى لو لم تكن قد ذقت الخمر قط .. رأسك يهتز
وحده كأنما هو معنق بياى مرن ، وقدمك رخوتان
كعودى مكرونة ، والكلام يصدر منك قبل أن تعرف
أنت ستقوله ، ثم تسمعه فتسائل عن المتكلم قبل أن
تعرف أنه أنت !

وقار المهنة نام مرهقا ، حتى أننى وجدتنى أصفح
المرضة الكاميرونية بأسلوب (كفك) المصرى
الشهير أكثر من مرة .. وصرت أضحك لأتفه وأقل
سبب ..

الحق أننى كنت فى أمس الحاجة للنوم حتى
الظهيرة ..

وفى غرفتى تمنيت لنفسى نوما هادئا ، وقمت
بتشغيل جهاز طرد الأشباح المعنق بالسقف ، ثم
احتضنت الوسادة وقررت أن أفكر فى أشياء مبهجة ..
مثل ماذا ؟ متى

لقد نمت وأنا أفكر

★ ★ ★

كُن شينا بهيجا واحداً لم يَؤرنى فى النوم ..
كانت هناك عينان جاحظتان كاسحتان ، وسهل
تمرح فيه الأسود لكنه كان يَطل عليها من عل
كالشمس .. وكنت أنا أركض عالماً أنه يراى .. ليس
أمامى سوى اجتياز هذا السهل ..

ولكن الأسود .. إنها ستمزقنى حتماً .. كيف أقر ؟
حسن .. لقد مررنا جوار ثلاثة منها لم تعرنى انتباهها ..
ولكن هل يستمر هذا ؟

أسد أشعث عملاق يستدير نحوى ويزار .. قدماى
ثقلتان كعادة الحالمين .. أتصرف ببطء غبى ، وأقول
وأنا أقر :

« إنه التهاب فى المخ .. التهاب لا أكثر ! »



وأصحو من النوم لأدرك أنني كنت أتنبصوت عال ..
أتأمل الضوء الخافت من وراء الستائر ، وأقول
لنفسى : ما زال النهار طفلاً ..

دعنا نواصل النوم ..

لا تخافوا يا سادة .. إنه كابوس .. كابوس بسيط
سيزول حلاً ..

فُنفكر فى أشياء مبهج

★ ★ ★

العينان .. العينان ..

★ ★ ★

وأصحو لأجد الظلام الدامس يغمر الحجرة ..
لا أستطيع أن أرى يدي ذاتها .. فيما عدا الأرقام
على المنبه الذى أهدأتى إياه خالى يوماً ما .. إنها
السابعة .. السابعة ؟ مساء أم صباحاً ؟
رباه ! أنا دخلت الفراش فى الثامنة صباحاً ..
ما معنى هذا ؟

وبصوت مسموع أخذت شهيقاً عميقاً لأتخلص من
شعور الاختناق الذى غمرنى .. وأبعدت الظلام بيدي
كى لا يجثم على روحى ..

رباااه ؟ لقد نمت إحدى عشرة ساعة كاملة !
رباه ! ساعدنى على استعادة دقة ساعتى البيولوجية ..
كان أول ما فُكرت فيه هو الحاجة إلى النور ..
النور سيجعلنى أرتب أفكارى وأفهم من أنا وأين أنا ..
أضأت الأباجورة الشبيهة بقرص مضيء جوار
الفراش ، ثم نهضت مترنخاً لأضيء الحجرة ..
وأخيراً بدأت أفهم وأتوازن ..

رباه ! إن على الذهاب إلى قسم العظام حالا ، كي
أعد الحالات التي ستجري لها جراحة غذا ..

غسلت رأسي ووجهي بالماء البارد ثم ارتديت
ثيابي ومعطفي ، وغادرت الحجرة مسرعا .. آه !
الظما يحرق أحشائي حقا ..

كان (بسام) التونسي خارجا من غرفته ، فما إن
رأني حتى صاح بالقصحي كعادتنا في الخطاب :

- « حمدا لله على سلامتكم .. لقد طال نومكم ..
فلم تستجب لقرعاتي على الباب ولا مرة .. »

مسحت وجهي بكفي ، وقلت :

- « كان عليك أن تصر أكثر .. إني كالخارج من
مفرمة لحم .. »

- « ما دمت نمت طويلا فجسدك كان بحاجة
لهذا .. إن الجسد أحكم من العقل أحيانا .. »

حييته ، وهرعت راجعا إلى قسم العظام ، حيث
كان الطبيب الأسباني (ميغيل كاساني) يغلي غيظا ،
فما إن رأني حتى صاح :

- « هأنذا أخيرا .. إني - حين أطلب شيئا - لا أتوقع
منك التنفيذ لكني أتوقع الاعتذار لو لم تنو القيام به ..
كنت قد بدأت العمل بدونك على كل حال .. »

نظرت لساعتي . واعتذرت في تهذيب .. لم أكن
على ما يرام قط ..
أعطاني قائمة بأسماء المرضى وممرضة هندية ،
وقال إنه ينتظر الانتهاء من المهمة خلال ساعة ..
ولن يقبل أعتذاراً .

يا له من يوم ! يا له من يوم !

★ ★ ★

انتهيت في التاسعة مساءً ، فاتجهت إلى الكافتريا
لأكل شيئاً .. فلم يدخل معدتي طعام منذ يوم كامل ..
كان (بيير) طبيب العناية المركزة جالساً هناك
يلتهم شطيرة من اللحم مع كوب عصير ، فلما رأيته
هز رأسه محيياً :

- « تبدو جانغاً كتمساح .. »

- « أنا لا أبدو .. أنا كذلك فعلاً .. »

- « وجبتك الأولى ؟ »

- « بالفعل .. »

- « وأنا كذلك .. »

لم أرد أن أصدق رأسي بالسؤال .. إنه يعمل في
العناية المركزة ولا بد أن يعيش في توتر دائم لأن

هذه مهنته .. لو لم يعمل الطبيب يجذ في الغاية
المركزة فأين يعمل إذن ؟

قال لي دون أن ينتظر سؤالاً :

- « إن الأطباء مرضى متعبون حقاً .. »

ابتلعت ما في فمي ، ثم سألته دون أن أهتم
بالإجابة :

- « أطباء مرضى ؟ مرحى .. هل أصيب (آرثر

شلبى) بنوبة قلبية أخيراً ؟ »

بدت عليه إشارات الدهشة ، وغمغم :

- « آخر من يعلم ! »

- « يعلم ماذا ؟ »

- « أين كنت بالضبط ؟ نائماً مع أهل الكهف ؟ »

قلت في ضيق وقد بدأ يثير أعصابي :

- « نعم كنت نائماً معهم ، وما زال اختلاف

العمليات يثير حيرتى .. اسمع .. يمكننى أن أسخر

منك لأنك لا تعرف ما حدث أمس فى (إندونيسيا) ..

إن السخرية والشعور بالتفوق هتان دوماً ..

قال فى شيء من اعتذار :

- « كل (سافاري) تتحدث عما أصاب (جابرين)
و (هانس) ! »

توقفت عن المضغ ، وتصلبت عضلات بلعومي :
- « ماذا دهالما ؟ »

- « إتهما في غيبوبة منذ العاشرة صباحا ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany2H
www.dvd4arab.com

٣- في المشروحة ..

أشياء تحدث ليلاً ..
قد يكون لها مذاق الحلم ورائحة الحلم وملامحه ..
لكن ما يثير هلعنا هو أن نعرف الحقيقة : للأسف
ليس هذا حلمًا ..
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

تظننى أهذى ؟ إذن خذ هذا المثال :
- « لقد انتابنى الهلع .. وتلاشى أى أثر للإرهاق
من جسدى .. إن الإرهاق ترف يحتاج إلى بال رائق
وإلى استرخاء .. لكن (الأدرينالين) الذى تدفق فى
دمى جعلنى متحفزاً كأفعى ..
- « غيبوبة ؟ ! »

- « نعم .. هياج غير مفهوم ثم غيبوبة .. »
- « هل يمكن أن أراها ؟ »
- « لا داعى الآن .. لن تحب المتظر كثيراً ، ثم
إنهما لن يعرفاك على كل حال .. »

عدت أسأله وأنا أحاول جمع شتات خواطري :

- « ما هو سبب هذه ... الغيبوبة ؟ »

هز كتفيه في تواضع ، وغمغم :

- « حتى الآن لا شيء .. السكر بالدم على ما يرام ..

وظائف الكلى جيدة .. السائل النخاعي الشوكي رائق ..

الأشعة المقطعية للمخ جيدة .. لا توجد سموم من أي

نوع في دمهما .. باختصار : لغز كأكثر حالات

الغيبوبة في الواقع .. »

سألته وأنا أتأهب للنهوض :

- « هل التهاب المخ الفيروسي ينتقل في مدى

أربع ساعات ، ويحدث تأثيراً ؟ »

مط شفته السفلى وقال :

- « لا أظن .. نادرة هي الأمراض التي تكون فترة

حضانتها بضع ساعات .. وعلى كل حال خير من

يفتيك في هذا هو (آرثر شلبي) .. »

- « سأحاول معرفة رأيه .. »

★ ★ ★

الآن يجب أن أرى الساحر المسعور إياه ..

إن القصة غامضة لكنني متأكد من شيء واحد ..
لقد رأى ثلاثة منا هذا الساحر ، غاب اثنان
منهما في غيبوبة ، وانتثت نائم كالقلى يوما كاملا
بلا تفسير ..

وهكذا اتجهت إلى قسم الأمراض المعدية ، وهو
جزء من (سافاري) يتوجس الجميع عند المرور
أمامه .. كان مبنيا وحده داخل نطاق الوحدة ، لكنه
بعيد عن مبانيها الرئيسية . وله إجراءات معقدة في
الصرف الصحي والتموين وما إلى ذلك بالإضافة
إلى إرغامك على ارتداء القفازات والقناع الواقى
وأكياس بلاستيكية تضعها فوق حذائك ..

كان د. (جابريل) قد نقل الحالة إلى هناك .. فهو
غير قادر على السيطرة عليها في قسم الأمراض
العصبية ..

وسألت الممرضة الآسيوية التى وجدتتها هناك عن
مريض الكلب الذى وصل أمس ، فأشارت إلى غرفة
مغلقة وقالت شيئا ما بالصينية / اليابانية /
بالفيتنامية .. لا أدري بالضبط ..

اتجهت إلى الباب وفتحته .. وكان ما رأيته هو -
ببساطة - فراش دون أغطية وقد فُكبت حشيته

رائحة (الفورمالين) العينة التي تحرق العين حتى
تدميها .. لشدة ما ارتبطت هذه برائحة الموت في
ذهني ..

- « مساء الخير يا بروفسور .. »

- « مساء .. »

ورفع وجهه الصلب نحوى منتظرا ما سأقول ..
ابتلعت ريقى وسألته في كياسة عن جثة الساحر
الإفريقى الذى مات بداء (الكلب) ..
قال وهو يشير بيده إلى الثلاجة :

- « هو هناك .. لم أقم بتشريحه بعد .. وأعتقد
أن هذا سيفتح علينا باب جهنم لأن الرجل مقدس
عندهم .. »

- « هل لى أن أراه ؟ »

- « سأموت كمذا لو لم تفعل .. »

واتجهت إلى الثلاجة الأفقية الشبيهة بكمود ذى
أدراج عديدة . كنت أخفى لعبى فى طفولتى فى شىء
كهذا .. المشهد ذاته يتكرر لكن محتوى الأدراج
يختلف .. إن الألعاب هاهنا من نوع آخر .

جذبت المقبض البارد للوراء ، وبدأ لى الشىء

الملفوف فى ملاءة بالداخل .. لم تكن نستعمل
الأكياس البلاستيكية فى (سفارى) لحسن الحظ لأن
هذا يجعل الأمر بشعاً ..

أزحت - بحذر - الملاءة عن الوجه .
هو الوجه ذاته وقد اختارت شفاته لون الصوت
الرمادى الجهم ..

لكن العينين ! العينين مفتوحتان تحدقان فى وجهى
بإصرار مريع ..

للوراء تراجعت خائفاً حتى كدت أتعثر ، وهتفت :
- « د . (جيديون) ! إنه ينظر لى شذراً ! »
لم يرفع وجهه عما يؤديه ، وقال ببرود :
- « إنه ميت يا بنى ، ومن العسير أن يرمقك
شذراً .. هذا رأى ! »

- « لكن عينيه مفتوحتان .. »

فى صبر قال :

- « إن هذا يحدث .. لقد حاولت كثيراً غلقهما لكن
هذا مستحيل .. لا بد أنه نوع من التصلب الرمنى فى
عضلات الجفن .. »

ثم نظر فى ساعته ، وقال :



أزحت - يحذر - الملاة عن الوجه .

هو الوجه ذاته وقد اختارت شفتاه لون الموت الرمادي الجاهيم .

٣٥ - سعادى ١٩١١ / اشهد تحدث لي

- « سأقوم بتشريحه بعد ربع ساعة .. هل تريد

حضور ذلك ؟ »

قلت في لهفة :

- « بالتأكيد .. لكن ماذا تتوقع أن تراه ؟ »

- « لا شيء .. علامات التهاب المخ ، والتغيرات

المعروفة في جذع المخ وقرن (أمون) .. وربما

وجدنا علامة التأثير الخلوي للفيروس .. هذا كاف

لتشخيص المرض .. ما هي العلامة هنا ؟ »

باغتني السؤال المفاجئ فتوترت ، وقتت وأنا أشد

قائمة :

- « جسيم (تور) ؟ »

- « بل جسيم (نيجري) يا فتى .. إن جسيم

(تور) خاص بالحمى الصفراء .. يبدو .. أنك نسيت

علم الفيروسات .. »

احمررت أذنائي - أو هكذا أبركت من حرارتهما -

ووقفت أنتظر انتهاءهما من إعداد الشرائح حتى يبدأ

عملية التشريح ..

قلت لنفسى : غذا سأكون راعيا .. غذا سأعرف كل

شيء عن جسيم (نيجري) و (تور) وعن كل شيء ..

ساقرا كل شيء وأذكر كل شيء .. المشكلة أن هذا
الغد لا يجيء أبدا .. لا أعرف متى تكتمى مطمئن إلى
قدومه ، وفي كل ليلة أدخل غرفتي منهكا لأقرأ بضعة
أسطر من ذات الصفحة من كتاب (إيسلباتشر)
- وغالبا ما تكون الأسطر ذاتها - ثم أنام .. وغدا يوم
آخر يتكرر فيه كل شيء ..

بنى أعلم قديرا هائلا - ذلك المعلومات في (سافاري)
لكن بشكل شقوي ، أما القراءة - ذلك الفن البشري
العتيق - فشيء لم تعد لي به علاقة تقريبا ..

وتظرت في غل إلى (جيديون) ..

متى وجد الوقت الكافي والمزاج الائق ليعرف كل
ما أعرفه ؟ لهذا صار هؤلاء علماء .. لأنهم استطاعوا
إرغام أنفسهم على استكمال قراءة الصفحة العاشرة من
كتاب (إيسلباتشر) حين عادوا لغرفهم ليلا ..
لكني لم أفشل بعد ..

يمكنني أن أكون مثله وأفضل ..

سيكون لي شأن عظيم .. ولكن غدا .. ليس اليوم !
وأفقت من خواطري على صوت فتح القلاية ..
تمديد الجسد الزنجي النحيل على منضدة التشريح
الرخامية المثقوبة من وسطها ..

ثمرة الأولى أشعر بأننى أحبها عممية التّشريح
إنها ستجعلنى أعرف . ثم أنها ستخلصنى من هذا
تحيان المقيت ..

رفع (جيديون) عويناته لأعلى على يأخذ نظرة
أشمل .. ثم قال :

« استعد بالمسجل يا (كيم) .. »

ودس يديه فى القفازين . وهو يواصل تأمل الجثة :

« غريب حقاً أمر هاتين العينين .. »

وواصل التأمل برهة كأنما هو شارد الذهن . ثم قال
وهو يشهق :

« هـ أنتما مستعدان ؟ .. فلنبدا .. »

★ ★ ★

هل أنا أحلم أم أن هذا الإصبع قد اختج قليلاً ؟

يسمون هذا (هلوسة المشهد الميت) . وهو
يحدث كثيراً لمن يطيئون النظر فى جثة .. عندئذ
يرونها تتحرك ..

كان أبى فى فراش الموت ، ولم يغطوا وجهه بعد
حتى تهدأ أمى بعض الشيء ، ودخلت الحجرة وحدى ..
راعنى اللون الأصفر كالليمون على وجهه المجفد

المتراخي .. ثم .. ثم أطلت النظر .. رأيت ركن فمه
الأيسر يتحرك .. إيه حي !

لم يملأني هذا حبورا - صدقوني - بن ملكي رعبا ..
ثم .. عرفت أنني كنت واهما .. ولم يعد أبي للحياة
قط بعد هذا ..

إن (ملوثة المشهد الميت) تتكرر معي الآن بوضوح .

★ ★ ★

قال (جيديون) وهو يضع نصل المبضع على
الجبين العاري :

- « استعد بالمنشار يا (كيم) .. ستبدأ بالمخ حالا
ثم »

سأنته وأنا أراجع بحثا عن مكان لرؤية أفضل :

- « هل هو معد يا بروفسور ؟ »

- « مع داء الكلب يا فتى لا يمكنك أن تضمن شيئا ..
كلعابه فوق جرح في يدك .. لقد انتقلت حالات كثيرة
بسبب زرع قرنية مريض مات بمرض عصبي مجهول
لمريض آخر .. عندها كنا نعرف - متأخرا جدا - أن
المريض الأول كان مصابا بالكلب .. وهذه هي

القاعدة : لا تزرع أي عضو أخذته من ميت توفى
بداء مجهول .. »

ثم غمغم وهو يتأمل الوجه :
- « الحق أن شيئاً ما غريب في هذا »
كان هذا أحر ما قال ..
قبل أن يهوى أرضاً .

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٤ - شروحوه ثانية !

أشياء تحدث ليلاً ..

هناك أشياء وأشياء .. لكن ما يحدث ليلاً له
- ذاتاً - مذاق خاص حيث الظلام أو الضوء
الصناعي .. ونحن اعتدنا أن الحقيقة لا ترى إلا في
نور الشمس .. لها ضياء الشمس ذاته ..
أشياء تحدث ليلاً ..



خذ عندك - كي تصدقنى - المشهد التالى :

المدير - البروفيسور (بارتلييه) - وقد استدعوه
من داره ، يقف ليرمق ما يحدث مذهولاً غير مصدق ..
إنها الساعات الأولى من صباح اليوم التالى ،
وما كان ليحسب حين دق جرس الهاتف أنهم يريدونه
لأمر كهذا .. حائراً شاردًا يجذب شعيرات لحيته
ويتحرك لُغده اليدين كانه فى عنق سحلية (إجواتا) ..
كانوا قد أعادوا الجثة إلى الثلاجة ، وحملوا

(جيديون) إلى العناية المركزة .. لقد حاولنا كل
شيء كي نعيده إلى الوعي .. إنها لم تكن إغماءة
عادية بل غيبوبة كاملة ..

فحصه مختص الأمراض العصبية .. وطلب عمل
أشعة مقطعية على مخه ورغم أنه استبعد أن نجد
شيئاً .. وحقاً لم يكن هناك شيء ، وجاءت أبحاث
المعمل لتقول إن الرجل سليم كلوح زجاج ..

صاح (بارتلييه) محققاً :

- « إذن ما الخطأ هناك ؟ إن كل هؤلاء غير أكفاء
حقاً .. »

كان خبيراً بالفيروسات ، يؤمن بكل ما هو دقيق
وواضح ..

وكان - كأكثر الأطباء الأكاديميين - بضايقه كل هذا
الغموض والتباس الحقائق في الطب السريري الذي
يمارسه الأطباء العاديون بالسماعة والمطرقه ..

لكن الأطباء الذين يتعاملون مع المرضى يتعلمون
هذا سريعاً .. لا يوجد شيء مؤكد أو مكرر أو مألوف
في هذه المهنة .. كل مرض هو مشكلة في حد ذاتها ،
وجمى التيفود لو أصابت عشرة مرضى لاتخذت عشر

صور مختلفة .. فمريض يسعل ، ومريض فى
غيوبة ، ومريض يتبرز دماً ، ومريض يشكو من ألم
بسيط فى أمعائه .. إلخ ..

لكن (بارتلييه) لن يفهم هذا أبداً .. ثلاثة من
أطباء (سافارى) دخلوا فى غيوبة خلال ثلاثين
ساعة .. ثم يقولون إنه لا يوجد تفسير ؟

ما نفع الطب إذن ؟ ما جدوى كل الملايين التى
تنفق على هذه الوحدة ؟ بل ما نفعكم أصلاً ؟

★ ★ ★

قلت له وهو واقف يتأمل (جيديون) :
« سيدى .. أنا لا أعرف حقيقة ما يحدث .. لكن
ثمة ما يربط بين حالات الغيوبة هذه . وقد كدت
ألحق بهم بدورى لولا شىء لا أرى كنهه جعل
غيوبتى لا تزيد على سبت عميق .. »

بدا عليه الاهتمام وأطرق واضعاً يده على كتفى :

« استمر يا ابنى .. »

وله حكيت عن الساحر ، وعن ولاته بداء الكلب
وعن التشريح ..

أصغى لى باهتمام ، ومعه د . (باركر) مساعده ..
وحين فرغت هتف د . (باركر) وقد نفذ صبره :

- « داء الكلب لا ينتقل بهذه السرعة ، وبمجرد
فحص المريض أو رؤيته من بعيد .. إن ما تحدثت
عنه لسحر أسود يا بني .. »
ضم (بارتلييه) أطراف أنامله بمعنى (تمهل) ..
وقال :

- « لحظة يا (باركر) .. إن (علاء) لا يقدم
استنتاجات بل يقدم مشاهدات .. والبحث العلمي يبدأ
بالمشاهدة ثم الفرضية ثم التجريب ثم الاستنتاج .. إن
الفتى قد لاحظ ظاهرة تشير ريبته .. فهل لها
مقزى ما ؟ »

قلت في إصرار :

- « (جابريل) و (هانس) فحصا المريض ..
(جيديون) شرع في تشريحه .. هل هذه مصادقة ؟ »
عقد (باركر) ذراعيه على صدره ، وقال :
- « إن كان هكذا فبم تنصح ؟ أبحث عن طارد
أرواح كي يظهر لنا هذا المستشفى ؟ »
ثم أردف وقد تذكر شيئاً آخر :

- « أم لعلك تطالب بحرق جثة هذا الساحر ؟ »

كنت بطبعي أمقت (باركر) وأحب استفزازه ؛ فهو
من الطراز نافذ الصبر الذى لا يطيق الشباب .. إنه
لا يؤمن يتدرج عملية التعلم .. وهذا سخف حقيقى
يمكن فهمه لو قارنت بين طالب السنة الأولى فى
الكلية وطالب السنة النهائية .. ليس طالب السنة
الأولى أغبى أو أكثر حمقاً .. هو - فقط - فى الدرجة
الأولى من سلم التعلم ولن يثبت أن يرتقى بعلمه ..
لكن (باركر) كان يرى طالب السنة الأولى - على
غرارى - بطيئاً جداً ، غيباً جداً ، سخيلاً إلى حد
لا يطاق .. وكأتما - (باركر) - ولذا عالماً ..
قلت ببرود :

- « ليس هذا حلاً محبباً لكنى قد أفكره .. »
هنا قاطعنا (بارتلييه) وقد أحسن أننا على وشك
الشجار .. «
- « سأقوم بترتيب عملية تشريح ثانية .. ولن
تترك مجالاً للخطأ .. »

- « ومن الأحمق الذى سيقوم بها ؟ »
- « يا له من سؤال ! أنت طبعاً يا د . (باركر) ! »
احمر وجه الرجل للمفاجأة والإهانة معاً ..

لقد نسينا حقاً أنه استاذ في علم الأمراض
(الباثولوجى) ..

لكنه خشى - كالعادة - أن يبدو جبناً ، فبرز رأسه
في حماس صناعى وقال :

- « ليكن .. لكنى أريد هذا الـ (عبد العظيم)
معنى .. لقد جان الوقت كى يتعلم شيئاً حقيقياً .. »
قلت له وأنا أتخشى نظراته :

- « ليكن .. لقد حاولت مراراً حضور هذه العملية
لكنهم جميعاً يدخلون فى غيبوبة ، وعسى أن تكون
أحسن حظاً .. »

- « جميل .. إذن هيا بنا إلى المشرحة .. »

★ ★ ★

استعدنا لكل شيء ، ووضعنا الكمادات الواقية ،
وارتدى كل منا قفازين فوق بعضهما .. من أدراك أن
الأمر لا يتعلق بفيروس جديد عاتب على غرار فيروس
(لاسا) الذى كان يقتل كل من يتعامل مع المرضى
به ، وغدا انتقله محيراً للعلماء حتى أنهم قرروا
وقف الأبحاث عن الداء ؟

قام المساعد الكورى بتشغيل جهاز الكاسيت ، الذى
كان يحمل آخر ما قاله (جيديون) قبل أن يسقط
أرضاً ..

وبالوقار المناسب لنائب مدير تذكر أنه استاذ علم
أمراض ، تتفتح (باركر) وقال للكورى :
- « هات الجثة يا (كيم) .. »

اتجه (كيم) إلى الثلجة وعالج الدرج العملاق
إياه حتى فتحه ، وألقى نظرة إلى الداخل ، ثم صاح
مذعوراً بشيء كورى ما ..

إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء كثير ولا جهد
للت ترجمة

الإنسان لا يصرخ حين يخرج جثة من الثلجة
إلا لو كانت قد تعقنت دون سبب ، أو دبت فيها الحياة
فجأة ..

أو .. لو لم تكن هناك

★ ★ ★

والجثة لم تكن هناك !

من ارتياكه راح (كيم) ينزع الملاءة ويتفحصها ،
ثم يتفقد الأرض كأنما م ضاع منه قطعة عملة وليس
رجلاً بالغاً ميتاً ..



اتجه (كيم) إلى الشلاجة وحالغ الدرج العملاق إياه حتى فتحه ،
وألقي نظرة إلى الداخل ، ثم صاح مدهورا بشيء كورى ما ..

فى حزم شخط (باركر) من وراء لثامه :

ـ « ما هذا التهريج ؟ هل تمزحون ؟ »

بصوت كالبكاء هتف (كيم) :

ـ « أقسم يا د . (باركر) .. لقد .. أعدته بنفسى ..

لقد

ـ « ربما تبخر أو أكلته قطرة .. لقد صار التسبب

فى هذه الوندرة

قلت وأن أنزل اللثام عن قمى :

ـ « ليس له ذنب يا د . (باركر) .. الأمر كله

خارج عن نطاق الفهم ، وأراهن على أن هذا الساحر

لم يمت حقاً .. »

ـ « إنه يجيد إدعاء الموت إلى حد

غير مسبوق .. »

ـ « الأمر وارد يا سيدى .. لقد دفن مرضى

كثيرون أحياء بسبب داء القصلب ، وهى الفكرة التى

أثارت رعب (إدجار آلان بو) فى أقصر قصصه ..

أعتقد أن هذا المدعى يجول حراً فى المستشفى

الآن .. »

نظر لي من وراء اللثام .. قطرات عرق تحسّد
على جبينه ..

لو كان فرضي صحيحا ، فهناك في (سافاري)
يجول ميت لم يمّت ، وهو - بالمناسبة - مصاب
بالسعار !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٥ - أين هو ؟

وفي الساعة مساء استدعوني كي أقابل - كالعادة - بروفيسور (بارتلييه) ؛ فما إن توجهت إلى هناك مزمجرًا عصبى المزاج ؛ وقد استطالت لحيتي أكثر وأشعل أخلاقي جوعى الشديد إلى الطعام والنوم ؛ حتى رأيت السكرتيرة شاحبة الوجه .. وفي عينيها نظرة مشجعة مناشدة ..

قالت لي همسًا :

- « د. (عبد العظيم) .. حاول أن تتمالك أعصابك ، وأرجوك .. أرجوك .. لا ترد عليه أبدًا .. »
ذكرتني بأختي الكبرى ، فلو كانت تجيد العربية لقالت كلامًا على غرار : اسمع من هنا وأخرج الكلام من هنا .. أو : كثير دماغك ..

نظرت لها في حيرة ، ثم دخلت الغرفة ..

فما إن رآني (بارتلييه) حتى انفجر كالبركان ..
أشعر بانبهار شديد حين أرى كيف يتجح الفرنسيون

فى استعمال لغة أنثوية مرهقة مثل الفرنسية فى
السياب وغلظ القول ..

– « هانتذا أيها الـ ! يا لك من غبى أحمق ! كل
العاملين هنا لا يصلحون حتى لتنظيف المراحيض ..
أتنى »

قلت له راقعا سبابتى منذرا :

– « يروفسور .. ثمة قاعدة نقولها فى (مصر)
دائما : إذا ارتفعت الأيدى تساوت الرءوس ..
ومعناها أن كونك رئيسى لا يسمح لك بإهانتى وإلا
فمن حقى استعمال اللغة ذاتها ! »

نظر لى لثائتين باحثا عن إجابة .. إن سرعة
بديهيته تخذله دوما أمام الردود الجاهزة من هذا
التوع .. والواقع أتنى أحفظ ثلاثة أو أربعة ردود
مسكتة أجابه بها فى كل مرة ، ودائما ما ينسى أتنى
استعملتها من قبل ..

قال أخيرا فى شيء من تخاذل :

– « إن من يعجز عن تشخيص الموت لا يستحق
لقب طبيب .. »

رفعت رأسى فى شمم :

- « ومن عجز عن تشخيص الموت هنا ؟ لم أكن
أنا من أرسل ذلك الساحر إلى المشرحة .. لقد كنت
في شبه غيبوبة في غرفتي .. »

بدت عليه الحيرة أكثر .. وأدرك أنه فجر قلبه في
الهدف الخطأ .. قال وهو يدعو بيده للجنوس :
- « إذن من الأحمق الذي ؟ »

- « لا بد أنه (جيرى ثورنتون) الأمريكى .. هو
المسئول عن الـ »

هنا كان إصبعه قد امتد إلى زر (الدكتافون) ليزأر :
- « أريد (جيرى ثورنتون) حالاً ! »

وجاء (ثورنتون) بعد قليل .. رجل منفتح ذو شعر
ذهبي . ولحيته من الطراز الذى تشك أحياناً في
وجوده فهي بلون البشرة تقريباً .. كان عصبى
المزاج قصير الفتيل ، وأدركت أن مشاجرة عنيفة
ستشب هاهنا ..

كان (ثورنتون) راضحاً جداً .. فى الساعة الثانية
ظهراً تشنج الساحر بعنف ، وراح يرغى ويزبد وقد
استحال شفتاه إلى اللون الأزرق ..

بالطبع حققوه بالـ (هاليوم) وثبتوا قناع
الأوكسجين على قمه ، ثم وجد (ثورنتون) أن
النوبة أعنف مما يجب مما اضطره إلى تخدير
المريض تماما وإيلاج أنبوب في القصبة الهوائية ، ثم
ثبته إلى المرقاب (المونيٲور) وراح ينتظر ..

.. « لم تكن ثمة أخطاء .. لقد صار رسم القلب
مسطحا .. توقف التنفس تماما .. اتسعت حدقتا
العينين .. لم يعد هناك ضغط دم .. لو كان حيا يعد
كل هذا فإتنى بالتأكد قارفت ذنبا عظيما حين دفنت
أبى بعد موته .. »

عقد (بارتلييه) كفيه تحت ذقنه كأنما ليصفى
باهتمام أكبر ، وقال :

.. « لكن جثتك هذه تركت الثلاثه ورحلت .. »
.. « إن الجثث أشياء كأي أشياء أخرى .. يمكن
نقلها أو سرقها .. »

هنا احمر وجه المدير كعرف ديك ، وضرب المكتب
بقبضته :

.. « المشكلة هى أنه لا يوجد ما يفرى بسرقة جثة
ساحر إفريقيا عجوز .. فما هو التفسير ؟ »

ويبد قاتطة أشار لـ (ثورنتون) بالانصراف . فقد
انتهى ما لديه ولم يجد ما يصب عليه بركان غضبه
سوى .. سوى السكرتيرة طبعاً ..
وغادرت المكتب وأنا أسمع زئيره يلومها على أى
شئ .. على فتحها للباب أو عدم فتحها له .. على
إضاعة الأوراق المهمة أو على الاحتفاظ بالأوراق
غير المهمة ..

★ ★ ★

وعند منتصف الليل أفاق (جابريل) من الغيوبة ..

★ ★ ★

لم أعرف بهذا الخبر إلا عندما صحت صباحاً ،
وفي الكافتريا قابلت (بيير) يلتهم على عجل شطيرة
من الزبد والمربى على الواقف ..
قال حين رآنى :

« لقد انتهى الكابوس .. (جابريل) فتح عينيه
وتكلم .. »

« حقاً ؟ متى ؟ »

« عند منتصف الليل .. »

« بأية معجزة ؟ »

- « لا معجزات .. أو - على الأقل - لا معجزات بشرية .. لقد كان نائماً كالمومياء ثم صحا فجأة .. نزع أبواب القصبة الهوائية وأبر المحائل ، ونهض في الفراش .. وقال : أنا أشعر بتحسن .. ثم طلب بعض الماء .. الكثير منه .. ولم يوجه أسئلة من نوع : أين أنا ؟ »

- « جميل .. وماذا يفعل الآن ؟ »

- « إنه تحت الملاحظة .. ما زال تفاعل حذقته للضوء لا يريحني كثيراً .. ثم إنه يتصرف كالمصابين بالارتجاج .. »

صيبت لنفسى بعض القهوة ، وسألته :

- « وهل يعرف ما حدث له ؟ »

- « البتة .. لكنه لا يسأل .. »

ثم سألتنى وهو يعرف الإجابة :

- « هل تريد أن تراه ؟ ! »

★ ★ ★

نعم أريد .. وهو سؤال يتم عن جهل بطباع البشر .. في ضوء النهار بدا لى (جابريل) شاحباً .. يجب أن تقضى وقتاً طويلاً مع السود كي تعرف كيف يشحبون ..

جالسنا فى الفراش يقرب المعلقة فى فنجان الشاي ،
شارد الذهن كأنما هو فى بلاد سحيقة وكأنه سيظل
يحرك المعلقة للأبد ..

جلست على المقعد بجواره فلم يبد أنه تعرفنى ..
لكنه بعد هنيهة همس :

- « مرحباً يا (علاء) .. »

ضربته فى كتفه مداعباً كعادة الأجانب التى لن
أفهمها أبداً :

- « هأنذا عدت من الغيبوبة أيها العجوز .. »

لم يضحك .. لم يعلق .. فقط واصل التحديق فى
الفنجان ، وغمغم :

- « أحياناً أحسبني لم أفعل ! »

قربت رأسى من رأسه ، وبحرص سألته :

- « لا تذكر حرفاً مما سبق الغيبوبة ؟ »

امتص رشفة من القدح أحدثت صريراً ، ثم غمغم
من جديد :

- « لا شيء .. أنت تعرف أن هذا يحدث دائماً ..

تكون منهما فى العمل تمارس نشاطك ثم .. ثم تصحو
فى الفراش لتعرف أنك كنت فى غيبوبة .. ثانية واحدة
بخبرونك بعدها أنها كانت ثلاثة أو أربعة أيام .. »

- « ولا تذكر حرفاً عما حدث في أثناء الغيبوبة ؟ »

لَبِقَ شَفَتَهُ السَّفْلَى ، وَرَاحَ يَحَاوِلُ التَّذَكُّرَ :

- « لا أدري .. ربما هو كابوس .. كانت هناك

ص .. ص .. صحراء أو سهل .. »

أَكْمَلَتْ كَلِمَتَهُ :

- « سهل .. وكانت تمرح فيه ال .. »

هَزَّ رَأْسَهُ مُصَدِّقًا :

- « الأسود .. وكانت عَيْنَانِ قَوِيَّتَانِ لَا تَفَارِقَانِ

وَجْهِي .. بَلْ عَالَمِي كُلَّهُ .. وَكُنَّ عَلَى أَنْ أُجْتَازَ

السَّهْلَ .. وَبَعْدَهَا .. »

ثُمَّ حَمَقَ فِي وَجْهِي وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ أَكْثَرَ :

- « ولكن .. كيف عرفت ؟ هل كنت أتكلم

فِي .. »

- « بل الأمر أسوأ .. لقد رأيت أنا الحلم ذاته ! »

وَجَلَسْنَا نَتَبَادَلُ النُّظْرَاتِ لِفَتْرَةٍ لَا يَعْلَمُ سِوَى اللَّهِ

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) طَوْلَهَا .

★ ★ ★

وَكُنَّ التَّفْتِيشُ جَارِيًا عَلَى قَدَمِ رَسَاقٍ فِي

(سَاقَارِي) ..

فريق من العمال يحمل الكشافات ، ويفتح الغرف
ويزحف إلى ما تحت درجات السلم الرطبية المظلمة ،
ويبحث في خزانات الحائط وفي محارق القمامة وتحت
الأسرة ..

المطلوب : جثة ساحر إفريقيا عجوز .. من
يجدها يخبرنا يا أولاد الحلال وله مكافأة لا بأس
بها أبداً ..

كيف ولماذا تختفى الجثث بهذه البساطة ؟ من
المؤكد أن أحداً لم يمزقها أو يحرقها أو يذبحها في
الحمض .. فأين ذهبت ؟



(موجازا) كهربائي الوحدة يهبط إلى القبو ..
لماذا يهبط إلى القبو ؟ يا له من سؤال ! طبعاً
ليختلس لقافة تبغ كان في أشد الشوق لها ، وهو يعلم
أن د . (ياركر) لا يقبل الأعذار ولا يمزح مع من
يخالفون أوامر عدم التدخين في (سافاري) .. وكان
الأطباء المدخنون يتظاهرون بأنهم مصابون بالإسهال ،
بينما العمال المدخنون يتظاهرون بأن القبو في حاجة
إلى تنظيف ..

أشعل عود ثقاب ولامس طرف اللفافة به فتوهج ..
تصاعد الدخان وأوشك أن يهز العود ليطفئه .. لكنه
توقف ..

كان القبو ككل قبو آخر .. مظلماً به فأر أو قاران
لا يستأهلان استجار شركة تطهير للخلاص منهما ،
وكانت به مواسير مياه صدئة وعدد هائل من لوحات
توزيع الكهرباء والقوابس و

وصندوق خشبي ضخمة !

لم يكن (موجازا) من المولعين بفتح الصناديق
الخشبية الضخمة ، لكنه في هذه المرة شعر بقضون
أقوى من أن يدفن ..

صندوق خشبي يبدو كالتابوت .. لكنه في وضع
رأسي ..

هوووم ! غريب هذا ..

مذ يده ليفتح الغطاء وهنا كان العود قد لسع أنامله
توطئة لأن ينطفئ .. وهكذا أخرج عوداً آخر وحكه
في الجدار كعادته ثم رفعه ليتوهج ، ومذ يده يفتح
الغطاء ..

لم يكن موصداً بإحكام .. فى الواقع افتح بسهولة
تامة ..

وعلى الأرض تمدد جسد أسود نحيل ، كخرقة تم
تلميع حذاء بها ..

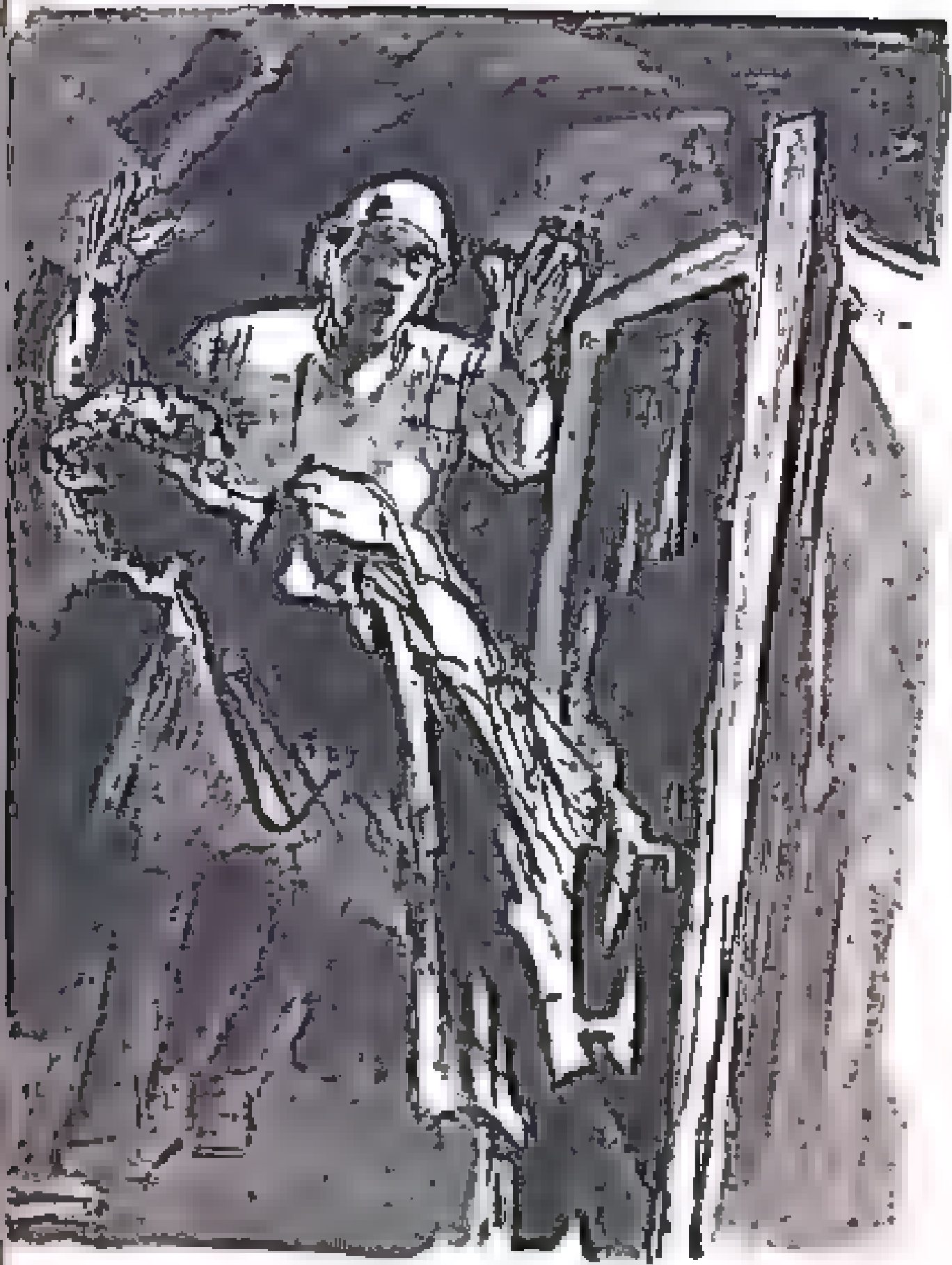
ولم يكن (موجازا) ذكياً ..

لكنه عرف على الفور من هو صاحب هذه الجثة ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com



لم يكن موحداً بإحكام .. لم الواقع انفتح بسهولة تامة .. وعلى
الأرض تعدد جسد أسود نحيل ، كمنحرفة تم تلميع حذاء بها ..

٦ - جنة وصحراء وغيبوبة وحمة ..

أشياء تحدث ليلاً ..

حقاً هناك - بالتأكيد - أشياء وأشياء .. أشياء
تحدث نهاراً وهي في الغالب بهيجة سارة ، وأشياء
تحدث ليلاً ليس بهيجة فيها إلا حينها وليس سارة
إلا زوالها ..

أشياء تحدث ليلاً ..



والآن تعال نر المشهد التالي ، وهو - بالمناسبة -
يحدث ليلاً :

سنة من كبار علماء (سافاري) يلتفون حول
الجثمان الأسود النحيل ، كضباع تكاكأت على غزالة
ضعيفة .. الفارق هنا هو أن الضباع مذعورة
والغزالة تشير الفزع والتطير ..

وكان القحص دقيقاً .. شاملاً .. بلا ثغرات ..

فى النهاية مسح د. (باركر) العرق عن جبينه
يكتفه لأن يديه كانتا ملوثتين ، وقال لاهشاً للمدير الذى
وقف على بعد ثلاثة أمتار

- « أعتقد يا سيدى أنه ميت حقاً .. »

تأمل المدير القلب الذى انتزعوه ، والرئتين والكبد ،
والمخ الذى حولوه إلى شرائح رقيقة ، وقال :
- « حتى لو لم يكن قد مات ؛ فأنتم قمتم

باللزم ! »

ثم التفت إلى د. (شلبى) - بكسر الشين وتسكين
اللام طبعاً - وقال :

- « ما رأيك يا د. (شلبى) ؟ »

تتحجج المذكور بالوقار اللازم ، ونزع قفازيه قائلاً :
- « لا يمكن استباق الفحص المجهرى .. لكنى

واثق من أن هذا الرجل مات بحمى مخية .. ولا يوجد
ما يمنع من أن يكون داء (الكلب) .. »

هز المدير رأسه فى رضا ، وغمغم :

- « سأبحث عن ذلك الفيروس اللعين بكل الأساليب

الممكنة .. ولكن هل جاء واحد من قبيلته يطالب
بجثته ؟ »

قلت أنا وقد جاء دورى :

- « لا يا سيدى .. يخيّل إلى إتهم مسرورون
للخلاص منه .. »

هنا صاح (شلبى) وهو يشعل سيجاره متجاهلاً
نظرات المدير و (باركر) النارية ، فالحقيقة هى أن
(شلبى) فى وضع يسمح له - سناً ومركزاً - بعمل
ما يشاء دون أن يجزؤ أحد على لومه .

- « لحظة يا بروفسور .. إن الأمر كله غامض ..
« أولاً : كيف جرؤ أهل القبيلة على نقله إلى
المستشفى ؟ المفروض أن سلطة الرجل كاسحة ،
وكراهيته للمستشفيات شديدة .. فكيف سمح لهم بهذا ،
وكيف سمحوا هم لأنفسهم ؟ »

« ثانياً : ما هو تفسير اختفاء الجثة لنجدها فى
صندوق بالقبو ؟ »

صاح المدير فى ملل وهو يلوح بذراعيه :
- « لا تهمنى التفاصيل .. فقط خلصونى من هذه
الجثة المشنومة .. أبلغوا الشرطة لتسلمها أو
أحرقوها .. لا يهم .. المهم أنى لا أريدها هنا غذا .. »
وغابر المكان قبل أن يرد أحد ..

★ ★ ★

وبعد ساعتين بالضبط نقلوا (موجازا) إلى العناية
المركزة .. كان في غيبوبة عميقة حقاً .. عرفت هذا
في الصباح ..

★ ★ ★

وكيف كان لي كذلك أن أعرف أن (جيديون) قد
أفاق من الغيبوبة بعد ساعتين آخرين ؟
كان أول ما شعرت به الممرضة هو أنه ينن أكثر
من اللرم ، ثم ارتفعت يده إلى الأنبوب الخارج من
فمه فالتزعه مرة واحدة ، وعود إلى قطعة البلاستيك
التي تمنع الفم من الانغلاق فبصقها ..
ثم نهض كأنه من بين الموتى ، وكأنه (أيعازر)
وقد ناداه السيد المسيح .. صحيح أنه مذهبول ..
صحيح أنه لا يعي ما يقول .. لكنه حي يرزق ..
طلب الماء ، فاحتسى أربعة أكواب كاملة حتى
امتدت يد طبيب العناية بمنع الممرضة من إعطائه
المزيد حتى لا يصاب بتمدد في الأمعاء ..

وكان أول ما قال راعياً هو :

« الصحراء ! ما أشد حرارتها ! »

وهي هلوسة لا تعنى شيئاً ، لكنها بالنسبة لطبيب

العناية بدت منطقية جداً .. هو ذا رجل يحلم
بالصحراء .. يحلم بها إلى جد أنه صار ظمآن كقطعة
من الإسفنج في بيت رجل لا يستحم ..
كل هذه أشياء تحدث ..
وكلها تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

شيء آخر لم أعرفه إلا صباحاً ..
لا تلوموني فأنا لست كلى القدرة شامل المعرفة .. أنا
مجرد بشر لا يرى غير الجدران ولا يسمع .. وينام في
نهاية اليوم منهوياً مفتوح الفم يصمّ شخير الأذان ..
كيف لي أن أعرف وقتها أن ثلاثة عمال دخلوا
المشرفة لتقل جثمان الصاغر العجوز إلى .. إلى
مكان آخر غير (سافاري) ..
وهنا كان ذعرهم يفوق الوصف حين فتحوا الثلاجة
ليرجدوا ألا سحرة هناك .. بالأحرى لا توجد جثث من
أي نوع !

أما الصراخ الشبيه بصراخ الأرامل عندنا في
جنّات أزواجهن ، فهو صراخ الطبيب الكوري
البائس (كيم) ..

هذه المرة كان يعرف أن الساحر بلا مخ ولا قلب
ولا روتين ولا كبد ، وأنه من المستحيل أن يرحل ..
كما كان يعرف أنه قضى الليل جوار الثلاجة يطالع
جريدة (علم الأمراض) ، ولم يغمض عينيه لحظة
أو يغادر المكان إلا للتبول ، وهذا لم يستغرق سوى
دقيقة ..

كان يصرخ لأن الأمر تجاوز كل منطق ..

كان يصرخ لأنه اصطدم بالمجهول الذي يحدث ليلاً ..

★ ★ ★

وهكذا لكم أن تراهنوا على أن المستشفى تحول
إلى مصحة للأمراض العقلية في الصباح ..
الكل يصرخ ويتشاجر ويتدافع ، والبحث جار في
كل مكان عن جثة ..

وفي مكتبه جلس (بارتلييه) مهموماً تحول وجهه
إلى ما يشبه الجورب المقلوب عندما تنزعه من
قدمك .. وحوله ستة من السادة العلماء لهم هيبة
العلم وخطورته ، وكلهم من ذوي الغلايين والمسؤولين
المشعثة الكثة الشيباء كالصور التي تراها في أول
مراجع الطب ..

أما أنا فجلست - جلستى الشهيرة - جوار الباب
مستعدًا للفرار فى أية لحظة ، وهى الجلسة التى
وصفها (بسام) التوتسى بأنها (مزجر الكلب) ..
لم أفهم معناها لكنها بدت لى كسبة .. فأقهمنى -
بارك الله فى ثروته اللغوية .. أن الكلب يدنو من
الطاعمين فيزجرونه .. فيقف وقفة لا هى بالبعيدة
عن الطعام ولا هى بالقريبة من الإيذاء ، وينتظر ..
لا أرى .. ما زلت أشعر أنها سبة بشكل ها ..
لقد دعانى (بارتلييه) لأتس - كالعادة - فى
القصة منذ لحظتها الأولى وحتى هذه اللحظة ، وكان
رأى للأسف ذا أهمية ..

بصوت خفيض مزازل مجلجل قال (شلبى) :
- « أظن يا سادة أننا متفقون على ظهور وباء
جديد فى (سافارى) ، وقد بدأ كل شىء من تلكم
الجنة سريعة البحر .. »
هنا قال أحدهم (وهو أستاذ إيرلندى لا أذكر
اسمه) :

- « د . (شلبى) .. نحن لم نر الحمى المخية تنتقل
بهذه السرعة قط .. ثم إن أحدًا ممن هم فى غيبوبة

ثم يصب بها .. لقد قمت بدراسة أشعة المخ
ورسمه

لكل الضحايا .. ويمكنني أن أؤكد أن هذه ليست
حالات حمى مخية .. »

قال (بارتلييه) وهو يدير القلم بين أصابعه :
- « لا شيء ينقل المرض في الطب سوى العدوى ..
وما دامت هناك عدوى فهناك مكان - فيروس أو
بكتيريا - ينقلها .. علينا أن نجد .. وأنا لا أتحدث
عن الحمى المخية هاهنا .. »

قال (شلبي) وهو يشعل سيجاراً :
- « لحظة .. ثمة نقطة أخرى .. لماذا تصر هذه
الجثة على الاختفاء كلما ألقينا القبض عليها ؟ »
قال (بارتلييه) :

- « الجثث لا ترحل لمجرد أنها لا تحبنا .. هناك
من يصر على سرقتها ، ولعل أحد العاملين هنا من
قبيلة الساحر ذاتها ، وهو لا يريد أن يمس أحد جثة
ساحرة المقدس .. »

ثم نظر لي حيث جلست (مزجر الكلب) على رأى
(بسام) :

- « (علاء) .. كيف حال (جيديون)

و(جابريل) ؟ »

نظرت لى ستة أزواج من العيون المرتابة ،
فابتلعت ريقى وقلت فى شىء من الحرج :

- « بخير يا سيدى .. مازالا فى ارتباك واضطراب
فكر لکنهما بخير .. ويبدو أن بوسعهما مغادرة
الفراش غداً .. »

- « والألماعى ؟ »

- « (هانس) فى غيبوبة عميقة ، وقد أصيب
بالتهاب رئوى حاد جعل حياته فى خطر داهم .. »
- « و .. وذلك العامل ؟ »

- « (موجازا) ؟ لم يُشف بعد .. »

وللجالسین حکى (بارتلييه) دورى فى القصة ،
منذ جاء الساحر مقيداً إلى الوحدة ، وحتى عملية
تشريحه أمس .. ثم قال :

- « والآن .. أعتقد أن خير ما يمكن عمله هو
إيقاد د. (عبد العظيم) إلى تلك القبيلة ، ليفهم حقيقة
ما نحن بصدده .. »

ابتلعت ريقى من جديد ..

لِمَ لَا ؟ تبدو فكرة لَا بأس بها أبدًا .. إنني بحاجة
إلى تغيير روتين حياتي الممل هاهنا .. وآخر حملة
قمت بها هي التي كدت أُوكل فيها عند (الكويو) ..
رباه ! لم يكن هذا هو التغيير الذي طلبت ..

قال (آرثر شلبي) :

- « هذا هو الرأي القويم .. ويمكننا معرفة آخر
من رأهم الساحر وهل أصيبوا بداء من ذات النوع ؟ »
وقال طبيب آخر مؤمنًا :

- « المسح .. هذا هو الحل الصائب .. لكن هل
يقدر هذا الشاب على مهمة كهذه ؟ ما أحسبها
إلا تتطلب فريقًا ؟ »

في خبث كدأبه قال (شلبي) :

- « إن الصبي جرىء نشط .. ويمكن اعتبار
رحلته الأولى كشفية يليها إرسال فريق كامل مُجهز .. »
هكذا ورطني وكنت أتوق بحق إلى الصحة ، لكن
الأمر راق لـ (يارتلييه) الذي وجدها فرصة لتخفيض
النفقات ..

قال بلهجة من لَا يقبل نقاشًا :

« إذن استعد يا (علاء) لزيارة تلك القرية
غدا .. ولعلك تحتاج إلى مترجم .. خذ .. خذ
معك .. أ »

من غير (بودرجا) المسكين ؟
لقد رأيت هذا الفيلم مرة أو أكثر من قبل !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٧ - سحر (مولوك) ..

أشياء تحدث ليلاً ..

لكن حملتنا بدأت في ضوء النهار ، حيث بدا أن
الأمور لن تكون سيئة أبداً .. فالسيرة غالباً ما يحدث
ليلاً ..

★ ★ ★

والآن تعال معنا ولنعش تلك اللحظات :

سيارة (اللاندروفر) الخاصة بـ (سافاري) تشق
طريقها تحت لهيب الشمس متجهة إلى قرية الساحر ،
والتي وجدناها في سجلات المريض ..

وعلى الجانبين يقف الفلاحون يرمقوننا ، بعضهم
دس كفيه في حمالتى فائتته الداخلية وتصلب بانتظار
معرفة من نحن وأين نحن .. عربات يتم تحميلها
بالفاكهة ، وعربات امتلأت بالعمال الأفارقة كلهم
ينظرون لنا في حيرة ..

إن شعار (سافاري) المرسوم على سياراتها

غريباً دائماً .. فهو لا يبدل على الصليب
الأحمر ولا على الأمم المتحدة ولا على الحكومة ..
ولم تكن القرية بعيدة .. وقد وصلنا هناك بعد
ساعة ونصف ..



التف أطفال فضوليون حول العربية ، فسألهم
(بودرجا) عن زعيم القرية .. ولم تمر لحظات حتى
كنا جالسين في دار من الطين ، أمام رجل بدين أصلع
الرأس لا يكف عن التهام الموز والكلام ..
بدأ (بودرجا) يحكى له القصة كلها ، والزعيم
يصفى وعيناه تجحطان اهتماماً ورعباً وكأنه يوافق
على كل حرف ، وعنده فكرة عن كل ما يقلقنا ..
في النهاية راح يتكلم بلا توقف بصوت غليظ بدين
بدوره ..

قال (بودرجا) متابعاً كلمات الزعيم :
- « يقول الزعيم (موبوكا) إن ساحر القبيلة قد
جنّ ، وإن الأرواح الشريرة قد سيطرت عليه .. إن
هؤلاء القوم يؤمنون بالطب ويعرفون أنه يصنع
معجزات كثيرة .. إن الجروح تشفى برغم أن

الساحر قرأ عليها أدعية كثيرة لكنه فشل .. الأطفال
المحمومون ينجح الطب في إعادتهم للصحة بينما
ينجح الساحر في قتلهم .. لهذا خطر لهم أن ينقلوا
الساحر إلى (سافارى) عسانا نجد علاجاً له هناك ..
وبالطبع كان من المستحيل إقناعه بأن يخضع لسحر
الرجل الأبيض ، لذا قيدوه بالحبال وحملوه حملاً إلى
هناك بعربة الإسعاف .. »

سألت (بودرجا) وأنا أنمل الزعيم :

« لماذا لم يأت أحد ليطالب بجثته ؟ »

أصغى الزعيم إلى السؤال المترجم هنيهة ، ثم
ضحك بصوته الغليظ ولم يعنق .. وهو صمت له أكثر
من معنى ..

عدت أسأل :

« هل تعرض لعضة ما قبل إصابته بالمرض ؟ »

الجواب : لا .. ولو تعرض قلن يخبر أحداً بل
سيعالج نفسه بنفسه ..

« هل لديهم فكرة عما يحدث في (سافارى) ؟ »

تكلم الزعيم كثيراً جداً ردأ على هذا السؤال الأخير ..
ووجدت أن (بودرجا) كفى عن الترجمة فاستحثته
بكفى كي يتذكرنى ..

قال (بودرجا) وهو يحفر الأرض - حيث جلسنا -
بصباته :

- « يقول إنه يعرف بوجود متاعب .. فالساحر
كان شيطانا حقيقيا ولا بد أنه استنزل لعناته على
(سافاري) .. فهو كان ساخطا عليها منذ البداية .. »
« يقول لنا أن نأخذ الحذر لأن (مولوك) - وهو
اسم الرجل - لا يموت .. بل ينتقل ليحل في جسد آخر
و »

أطلقت تهيدة مل ونظرت في اتجاه آخر :
- « آه ! هل عدنا لهذا الكلام الممل ؟ »
مقطع (بودرجا) بلسانه منذرا ، وقال :
- « لا تظهر الامتعاض يا دكتور وإلا فمن الخير
أن تظل في دارك .. إن هذه الخرافات تمثل لهؤلاء
القوم دينهم ، ولا أحد يقبل أن يسخر غريب من
دينه .. »

بدا لي الكلام حكيما ، فتمالكت أعصابي وسألته :
- « ليكن .. ومن أراهم أنه لا يموت ؟ »
- « عيناه .. يقول إن (مولوك) قد يحل في أي
جسد وبأي مظهر ، لكن لعينين تقولان دوما إنه هو .. »

- « فهمت .. كمن يتكثر في ثياب أنثى ويضع
مساحيقها ، لكن شاربها يظل كئًا واضحًا للعيان .. »
- « ويقول إن ما تحدث عنه كجثة (مولوك)
ليس سوى وعاء انتهى نفعه .. »

- « جميل .. سله إذن عن اختفاء الجثة
المتكررة .. »

وجه (بودرجا) سؤالاً أو سؤالين سريعين ، ثم
قال لي :

- « يقول إنه لا يعلم .. لكنه لا يستبعد أن يكون
(مولوك) طليقاً الآن في (سافاري) يجول مفتوح
البطن ! »

- « ومن دون مخ ولا كبد ! »

وارتعدت للفكرة ..

لكنني ارتعدت أكثر حين تصورت أنني أقول هذا
الكلام الفارغ للبروفسور (بارتلييه) عند عودتي ..
ماذا وجدتم يا (علاء) ؟ وجدنا أن (مولوك) يتمتع
بقوى سحرية هائلة يا سيدي ..

كان هذا فوق احتمال أي شخص حتى لو كان
(بارتلييه) ..

ونظرت للزعيم ، وأدركت أننا لن نحصل منه على المزيد .. قلت له (بودرجا) أن يشكره ويَعده بعودتنا لمزيد من التفاصيل ..

هنا مذ الزعيم يده إلى عنقه ، وانتزع قلادة في طرفها ما يشبه سلة مجدولة من الخوص ، وقال أشياء ..

هزرت رأسي بمعنى أنني لا أستطيع قبول هدية كهذه ، وأتني زاهد فيها كل الزهد ، لكن الرجل أصر وأسنانه تلتصع في ضوء الشمس .. وقال له (بودرجا) ما عرفت معناه فيما بعد :

- « لقد كانت تحميني من (مولوك) حين كان بيننا .. اليوم أنتم أحوج إليها مني .. » وأشار لي كي أطوق بها عنقي ففعلت ..

كانت خشنة لها ملمس غير مريح ، ومن السلة الصغيرة سمعت صوت خرقشة من النوع الذي يؤذي مسمعك .. صوت يحطم الأعصاب ، كصوت الـ (فوم) الإسفنجي الذي يفلقون به الأجهزة الكهربائية حين تحرك قطعتان جوار أذنك .. هل تعرف هذا الشعور ؟ الحق أنني لم أحب هذه القلادة لحظة .. لكنني ابتلعت فكرة وجودها ..



هنا مدّ الزعيم يده إلى عنقه ، وانتزع قلادة في طرفها ما يشبه
سلة مجذولة من الخوص ..

وفيما بعد عرفت أن الزعيم قال له (بودرجا) وهو لا ينظر إلى :

- « خذ الحذر مع زميلك هذا وراقبه حسنا .. لقد بدأ (الوسم) يظهر على وجهه ! »

★ ★ ★

لكن (بودرجا) لم يخبرني بشيء .. حتى في طريق العودة الطويل لم يقل شيئا .. فقط حين مدت يدي إلى القبلاة البغيضة أنزعها من حول عنقي ، وأوشك أن ألقها بعيدا ؛ عندها مد (بودرجا) يده يمنعي .. ولما رأى علامات الدهشة على وجهي قال :

- « اتركها يا دكتور .. نحن لا نعلم الكثير عن أساليب هؤلاء القوم .. »

نظرت له ثم للقبلاة . أنا لم أرتد شيئا كهذا منذ نجاحي في الشهادة الابتدائية وإصابتي بالحمى بعدها .. لقد أرغمتني أمي على ارتداء حجاب حول عنقي لمدة شهرين ، وأنكم من سخریات تلقيت من زملائي حين كنت أخرج بالحجاب إلى السوق . إلى الشارع لألعب الكرة .. إلى ديار جيرانا .. ويوم

تخلصت منه - أخيراً - عرفت فائدة العلم .. مع العلم
لا يستطيع أحد أن يرغمك على ارتداء حجاب
أو تعويذة .. لكن ها هو ذا الموقف يتكرر ..
والغريب هنا أنني غير قادر على اتخاذ القرار
الحاسم ..

وفي خزي تركت القلادة تتدلى من عنقي ، وإن
داريتها خفف القميص عى لا يشعر بها أحد ..

★ ★ ★

قدمت تقريرى الردىء إلى المدير ، ولا داعى لأن
أقول إنه راح يضرب عفاً بكف .. فى النهاية فتح الدرج
وأغلقه ، وهى حركة عصبية خاصة به معناها أنه يتمنى
فتح بطنى وإخراج أحشائى .. ثم قال وهو يلهث :
- « هل لديك ما تضيقه ؟ »

- « لا يا سيدى .. »

- « إذن اذهب ونم .. وفى الصباح حاول أن
تفنعنى أكثر .. »

وهكذا فارقته .. كان الإتهاك يغمر جسدى ، وفركت
أننى سأنام كجثة فى قبو مظلم ؛ ولم أكذب خبيراً ..

★ ★ ★

لكن الصوت ضايقتى ..
صوت الخرفشة الذى حدثك عنه .. أحياناً هو
صوت قطعتى (قوم) تحتك ، وأحياناً هو صوت
ربطة ثوم بدأت أمى فى تقشيرها من أجل العلوخية ..
المهم أنه صوت خافت .. بشع .. قسء ..
وتحسست القلادة على صدرى فى الظلام ،
وهمست بصوت مسموع :
— « ثمة شىء حى بداخل هذه ! أقسم بالله إن
شيئاً حياً بداخل هذه ! »



٨ - استجواذ..!

أشياء تحدث ليلاً ..

تُما قلنا مراراً : هناك أشياء وأشياء .. لكن
الأشياء التي تحدث ليلاً تكون خافتة أو مريبة أو بها
صوت كالحفيف ..
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

وهكذا يمكننا فهم ما حدث :

لقد غادرت الفرقة شاعراً بالاختناق والحيرة ، وفي
ذهنى خاطر واحد ما من شيء سواء ؛ هو أن أتخلص
من هذه القلادة .. لا تسينوا فهمي .. أنا لم أعتقد
فيها لحظة لكن السحر عامة يبعث في النفس شعوراً
من عدم الارتياح وربما التقرُّز .. حتى لو كنت تؤمن
بأنه هراء ..

كان الظلام يغمر الممر الذي يضم غرف الأطباء ..

المقيم منهم ومن يسموته (طيب الدار) وهو
ما نسميه نحن بطيب الامتياز ..

في نهاية العمر نافذة .. صحيح أنها مغطاة بالسلك
الواقى لمنع البعوض من قتلنا بالمalaria ، لكنها تصلح
لأرى الليل منها وأشم هواءه النقي البكر .. وعند
قدمي سلة مهملات تصلح تمامًا للتخلص من

صوت خطوات ..

وتظرت إلى الوراء ..

كان يعيش في العمر عائدًا إلى غرفته ، وظهره
لي ..

محنى القامة ينظر لقدميه .. لكنى أرى بقعتى
الضوء تفتريشان الأرض أمامه .. ما مصدر هذا
الضوء ؟

مصدره كشافان بالتأكد .. لكن أين هما ؟

يمكن - بشيء من الخيال - أن أقول إن الضوء

يخرج من عينيه ؛ إذن لماذا لا أخاف وأصرخ ؟

لأن الضوء لا يخرج من عيون الناس أبدًا ؛

ولأن (ابن الهيثم) برهن على ذلك من عهد طويل ،

حين كان العلماء يحسبون العين تطلق شعاعاً ترى
به الأشياء ..

وفي كياسة نأديته بصوت رقيق :

- « أ .. د. (جابريل) .. »

هنا انطفأ النور كأنما ضغط على الزر .. وسمعته

يقول في الظلام :

- « من ؟ »

- « هذا أنا .. (علاء) .. هل تشكو من أرق ؟ »

التفت لي .. ثم بدأ يتجه نحوي ببطء ووجهه في

اللون الأسود الكثيف :

- « كلا .. لقد انتهيت الآن فقط من الـ »

يدنو أكثر .. ولا أشعر براحة كثيرة إزاء مشيته

المتصلية :

- « .. مرور بالعتابر .. إن هذه الحالات لم »

و (جابريل) عادة متردد قلق كثير الحركة .. هذا

الثبات غير معهود فيه ..

- « يرها أحد منذ أن أصبت بالغيب »

وهنا وصلت إلى قرارى سريعاً :

هذا القادم ليس (جابريل) !

★ ★ ★

كأنت عيناه جاحظتين نافذتين ..

لم أعهد قط هاتين العينين في (جابريل) ..

وعلى الفور تذكرت أين رأيت هاتين العينين من

قبل ..

★ ★ ★

وحين ضحك كان الشيطان نفسه يضحك ،

والأسنان اللامعة البيضاء تبدو كأنياب في الظلام ..

صوته قد اختلف كثيرا وأسلوبه :

« إنك في طريقى دائما أيها الشاب الصغير .. »

وكنت أنا في وضع مقلق بحق .. ظهرى للتأفذة

ووقفتى متحفزة ملأى بالتوتر .. لا أستطيع التراجع

أكثر ..

رباه ! شيء ما يقول إننى لن أستطيع قهره لو

ضربته ..

إنه أقوى منى بالتأكيد ..

★ ★ ★

لكن العينين توقفتا لحظة عند صدرى ..

عند موضع القلادة ..

الوجه الأبيض يكفهر ويكشر عن أنيابه أكثر ..
أقسم إنه أطلق فحيحاً من فمه شأن مصاصي
الدماء في أفلام (هامر) حين يرون ضوء
النهار ..

وفي اللحظة التالية حدث شيء لا يُصدق ..
ببساطة تراخى كتفاه ، وكف جسده عن التوتر ،
وزال التعبير المريع الجشع عن وجهه ..
ودون كلمة أخرى استدار متجهاً لغرفته ..
هذه هي مشية (جابريين) الذي أعرقه ..

★ ★ ★

ولكم أن تراهنوا على أنني لم أستطع النوم لحظة
طيلة ما بقى من الليلة ..

وحين تسفل شعاع النهار الأول من النافذة لم أشعر
قط من قبل أن غرفتس بهذا الجمال وفراشس بهذه
الراحة .. لقد بردت الجدران أخيراً وغدا كل شيء
معداً لنوم هادئ حتى الظهر ..

لكن - للأسف - هذا هو موعد الاستيقاظ ..
واتجهت إلى الكافتريا متثاقلاً أجرّ قدمي ، وسمعت

(برنات) تقول (هاى) وتكوز أنفها - ثم أر هذا
لكنى سمعته - فلوحت بكفى فى الهواء ، وجلست إلى
المائدة مرهقا مضعضعا ..

قال لى (بيير) وهو يتخذ مقعده جوارى :

- « هل بلغك ما حدث أمس ؟ »

- « (جيدون) قد أفاق من الغيبوبة .. إذن لا بد

أن (هانس) قد

- « بالضبط .. لقد أفاق أمس .. »

- « وماذا عن عامل الكهرباء إياه ؟ »

- « مازال فى غيبوبة .. لكن الأمور تدعو للتفاؤل

كما ترى .. »

نظرت له مليا .. وفكرت فى أن لزود (جيدون)

الآن ..

وكان (جيدون) قد عد لممارسة عمله ..

طبيب (الباثولوجيا) اليهودى العجوز لم يعتد أن

يمرض .. وأما لم أحبه قط لكنى كنت أحترم علمه

ومثابرتة برغم كل شيء ..

كان في المعمل الملحق بالمشرحة مع (كيم)
عائقاً على فحص بعض الشرائح تحت المجهر ،
وجواره طبيب ألماني شاب يدون في نهم ما يقوله
الرجل ..

هناك على سلامته قابتسم ابتسامة جانبية باهتة ،
وواصل ما يقوم به .. سألته عن تفسيره لما حدث
فبدأ مبتعضاً .. هذه أمور خصوصية لا يحق لي
الكلام عنها .. ثم إنه لا يملك تفسيراً طبعاً ..
وجلست صامتاً أتأمل ما يقومون به .. ثم رفعت
عيني فجأة ..

كان (جيديون) ينظر إلى نظرة ثابتة وقحة بعينين
لا تطرفان ..

هاتان العيتان ! إبتى أراهما أكثر من اللازم في هذه
الأيام ..

مدت يدي إلى صدري وأخرجت القلادة ..
تحسستها بأناملي ، ورفعت عيني بحذر نحوه ..
أدركت على الفور أن الأمر كما توقعت ..
لقد كان يرمقها بأشمنزلة ومقت شديدين ، وبدأ أنه
يقاوم رغبة جامحة في القرار لكنه لا يجزؤ ..

العينان عينا (جابريل) .. والنظرة نظرتة حين
رأى القلادة ..

ثم يعد فهم ما يحدث عسيراً ..

★ ★ ★

دوى الصراخ فى الطابق كله ، فغادر من كان
موجوداً من الأطباء غرفته ليرى ما هناك .. وعلى
أبواب الغرف تبادل الجميع نظرات الحيرة والتساؤل
المعترف بها دولياً ..

ثم اندفع الجميع نحو غرف الطبيبات حيث دوت
الصرخة ..

والحكاية حكاية تالفة جداً .. لقد وجدت الدكتورة
(ماى - فاي - لين) الصينية رجلاً فى غرفتها .. إن
هذه الأشياء تحدث .. وجدته فى خزنة الثياب ..
لا بأس .. لقد سمعنا عما هو أسوأ .. لم يكن رجلاً
فحسب بل كان رجلاً ميتاً .. هذا شيء معتاد .. لكنه
- بالإضافة إلى ذلك - بلا مخ ولا كبد ولا رلتين ..
هنا بدا لى الأمر مألوفاً ..

قليلة هى الجثث التى تمشى مفتوحة البطن بلا
أحشاء ..

مَدَدُوا الْوُغْدَ عَلَى الْأَرْضِ فَوْقَ مَلَاعَةٍ ، وَغَطَوْهُ
بِمَلَاعَةٍ أُخْرَى مِنْ غُرْفَةِ الطَّبِيبَةِ الصِّينِيَّةِ الْمَذْعُورَةِ
الَّتِي رَاحَتْ تَتَحَدَّثُ بِلُغَتِهَا الشَّبِيهِةِ بِدَقَّاتِ الْأَجْرَاسِ ،
وَمِنْ فَمِهَا خَرَجَتْ مَنَاتُ النُّقُوشِ الصِّينِيَّةِ الْمُعْقَدَةِ
الْمَرْسُومَةِ بِالْحَبْرِ الشَّبِيهِ . .

جَاءَ الْمَدِيرُ أَخِيرًا يَهْزُ جَسَدُهُ الشَّحِيمَ ، فَتَوَقَّفَ أَمَامَ
الْجَنَّةِ وَتَأَمَّلَهَا . . ثُمَّ صَاحَ :

- « لَا أُرِيدُ هَذَا الْوُغْدَ ثَانِيَةً أُخْرَى هَاهُنَا . . خُذُوهُ
إِلَى أَيِّ مَكَانٍ بَعِيدًا عَنِّي . . »
هَتَفَ د. (بَارَكِر) :

- « لَكِنْ لَا يَدُ مِنْ وَجُودِ بَصِمَاتٍ . . هُنَاكَ مِنْ
سَرَقِ الْجَنَّةِ وَأَخْفَاها ، ثُمَّ جَرَّها جَرًّا إِلَى هُنَا . . لَا يَدُ
مِنْ بَصِمَاتٍ عَلَى الْبَابِ . . إِلَخَ . . »
نَظَرَ لَهُ (بَارْتَلِييَه) حُلِيًّا ، وَقَالَ ضَاغُطًّا عَلَى
كَلِمَاتِهِ :

- « وَلَكِنْ أَيْنَ أَخْفَاها مِنْ أَخْفَاها ؟ إِنْ رَجَّائِي لَمْ
يَتْرَكُوا حَجَرًا فَوْقَ حَجَرٍ فِي (سَافَارِي) كُلِّهَا . . إِنْ
الْأَمْرُ يَتَجَاوَزُ الْمُنْطَقَ الْعِلْمِيَّ يَا شَبَابَ . . كَفَى عَنْ
الصَّرَاخِ مِنْ فَضْلِكَ ! »

كذا صاح في (ماي - فاي - لين) غاضباً .. فقد
أوشكت على تحطيم أعصابنا جميعاً .. كل هذه
الضوضاء من أجل جثة بلا أحشاء في غرفتها ؟
ماذا تفعل إذن لو وجدت قُراً ؟

كان ثلاثة عمال عاكفين الآن على نقل الجثة إلى
حيث أُلقت ، حين دثوت من البروفسور المحقق
لأسأله :

« هل وجدتم فيروس الكلب يا سيدي ؟ »

« لم نجد أي شيء لعين .. إن هذا الوغد لم
يمت بالحمى المخية بكل تأكيد .. تسأل عن تفسير ؟
لا أدري تفسيراً .. إن هذه الوحدة قد ذهبت إلى
الشیطان بكل من فيها ولم يعد إنقاذها سهلاً .. »
عدت أسأله في إصرار :

« هل ؟ »

أدار ظهره لي بطريقة مهينة ، معلناً أن وقت
الأسئلة قد انتهى .. وهكذا لم أر ما أفعله سوى أن
أعود إلى حجرتي ..

كان الوقت عصراً والحرّ خاتفاً .. حتى بدأ العرق
يتساقط من حاجبي ويحرق عيني .. العرق واللعنات

على إدارة (سافارى) البخيلة التى لم تقم بتركيب
أجهزة تكييف فى حجراتنا ، باعتبار هذا ترفاً يتحصل
الطبيب ثقلته من حسابه الخاص ..
سمعت قرعات على الباب ففتحته ..
كان القادم هو د . (جابريل) .

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٩ - أُنقِذُوهُمْ مِنْ (مَوْلُوك) ..

أشياء تحدث ليلاً ..

ثمة أشياء وأشياء .. لكن لكل قاعدة استثناء ،
والاستثناء هنا هو أن تحدث أشياء مرعبة عصراً ..

★ ★ ★

والآن خذ عندك المثال التالي :

ما إن رأيت (جابريل) حتى تراجعت إلى الوراء
متحفظاً ، ومددت يدي إلى صدري لأرفع القلادة في
متناول بصره ..

لم يبد عليه أدنى تغيير .. وحين تأملت عينيه جيداً ،
أدركت أنه الآن (جابريل) وليس الآخر .. تنهدت
وتراجعت للوراء ..

قال لي وهو يخطو إلى الداخل :

- « لا تخف .. أنت لم تشعر بالشئ يتحرك بها ..

ومعناه أنني لست (هو) ! »

جلست على طرف الفراش ، وبأصبعي مسحت



ما إن رأيت (جابريل) حتى تراجعت إلى الوراء مشحقزاً ،
ومددت يدي إلى صدرى لأرفع القلادة في تناول بصره ..

العرق عن جبينى فاتهمر كصنبور الماء ، وقت :

- « تبدو لى على علم بما يحدث .. هل تعنى أن الصوت البشع إياه يعنى أن القلادة تعمل ؟ »

- « بالتأكيد .. إنه كصوت عذاد (جاجر) عندما يجد بعض (الوريانوم) .. »

- « لكنها - القلادة - لم تكف عن الخرفشة وهى على صبرى .. »

- « كانت تعمل كذلك .. وقد شعرت بأن جزءاً منك يتحول إلى (مولوك) لهذا راحت تمارس عملها معك حتى طهرتك ! »

غطيت وجهى بكفى منها :

- « د. (جابريل) .. لا تنس أننا نتكلم عن خرافات .. »

- « يا بنى نحن فى (إفريقيا) حيث يصعب العثور على الخط الفاصل ما بين الخرافة والحقيقة .. من يدري ؟ ربما نحن لم نتجاوزه بعد .. وربما كانت هناك حقيقة تقول إن (مولوك) يملك قدرة على الاستحواذ الشيطانى .. وربما هناك حقيقة تقول إن هذه القلادة تمنع سيطرة (مولوك) .. »

- « ومن أبراك بكل هذا ؟ »

ابتلع ريقه وتحاشى نظراتي ، وغمغم :

- « أنت تعرف جيدًا أنني تحت الاستحواذ الآن ..

وفي أية لحظة سيكون هو المسيطر على كلامي
ونظراتي .. »

قلت له وأنا أسترخى للوراء :

- « دعنا نرتب أفكارنا .. لماذا لم يستحوذ

(مولوك) على كل من تعاملوا معه ؟ »

- « إنهم لم يلقوا بالأبلى عينيه .. أعنى كل من

لم يتأثروا به .. كل من صاروا في قبضة (مولوك)

لاحظوا عينيه القويتين وتأثروا بها أكثر مما يجب .. »

- « هذا حق .. (هانس) وأنا وأنت و (جيديون)

وبالتأكيد (موجازا) .. كلهم تأثر بالعين وأطال النظر

لها .. »

أكمل كلامي وقد صرنا على نفمة واحدة :

- « كأن (مولوك) حين شعر بدنو تهايته ؛ أزمع

أن يوجد خمسة منه بعد وفاته .. »

قلت أنا منتقظًا الخيط :

- « و (مولوك) نفسه ليس هو الأصلي .. إنه

آخر وعاء اختاره الساحر الشيطاني الذي عاش منذ
عدة قرون وكانت له العينان ذاتهما .. ولكني لا أفهم
سر رغبة (مولوك) في إيجاد آخرين مثله .. »

حكى شعره الرمادي المجدد ، ومسح قطرات العرق :
- « هذه هي قطرة الشر الطبيعية : أن ينتشر ..
أن يملأ الأرض .. ثم هي كذلك غريزة كل كائن حي :
أن يقدو اثنين أو ثلاثة أو أكثر .. »
سألته وأنا أتحنس القلادة :

- « وما هي الخطوة التالية ؟ ماذا سيفعل كل
هؤلاء الـ (مولوكات) ؟ »

نهض وأولاني ظهره كأنما يجد عسراً في الكلام ،
وهمس :

- « أحياناً .. حين تملكني الرغبة الشيطانية ..
أشعر بأنني أريد أن أرى الدمار في كل صوب ..
أشوه كل وجه جميل .. أنتزع كل زهرة .. أنتثر الدمع
في عيون الأطفال .. أرى لون الدماء الأحمر يعم
أنكون ليمحو خضرة المرج وزرقة السماء .. أريد أن
أسمع من يتوسل لي طالباً الرحمة ، عالماً ألا جدوى
هناك وأنتى سأقتله ! »

- « يا للهول ! »

(وهذا ما كنت فى العمر أمس تحاول عمله) ..
فكتها فى سرى ولم أعلنها .. وارتجفت حين تخيلت
ما كان سيحدث لو لم تكن القلادة معى ..
أخيراً سألته وأنا أجفف عرقى بمنشفة :

- « لكن يبقى سؤال واحد : ماذا سنفعله .. »
تناول المنشفة منى ليحفف عرقه (اللعنة ! عادة غير
صحية .. لقد حان وقت غسل هذه المنشفة إذن) ..
وقال :

- « أنا لم أتطهر بعد .. لكننا نعرف أنك تطهرت ..
لهذا حان دورى فى ارتداء القلادة بعض الوقت ..
وبعد هذا يجىء دور (جيديون) فالباقيين .. »
لم أر ما يمنع .. فمن حقه أن يضمن النجاة مثلى ..
إن هذه القلادة لقادرة وأنا جربت بنفسى ما هى
مستطبعة عمله .. كل هذا يبدو سخيفاً لكننى مضطر
إلى مجاراة هذا السخف ..

ناولته القلادة فأحاط بها عنقه الأسود شاكراً ، ثم
نهض ..

سألته وهو يفتح الباب :

- « كم من الوقت تظن أنك ستحتاج إليها ؟ »

مطّ شفته السفلى أن لا يدري :

- « ربما ليوم أو يومين .. لا تشغل بالك ..

سأشعر بتحسن أكيد .. »

وقجأة - ومن حيث لا أتوقع - جحظت عيناه

كالمجائين ، وسمعت الصوت الذي سمعته أمس :

- « هاهاها ! أحرق كل من في سنك أيها

الشاب !! »

نهضت كالمسوع نحوه ، ولاحظت أن صوت

الخرفشة راح يتعالى ..

لكنه كان قد انتزع القلادة من عنقه ، وفي يده

اليمينى قداحة مشتعلة .. الذهب .. الذهب يدنو من

القلادة المصنوعة من قش مجدول ..

رباه ! لقد احترق القش بسرعة جهنمية ..

وهنا عرفت سر الخرفشة الذي أرقى .. وتأوهت

بصوت مسموع ..

كانت هناك خنقسة عملاقة تثب في الهواء ، وقد

اشتعلت النار في جسدها وعلى الأرض سقطت ترقرف

بجناحيها ..

لقد نمت وهذا الشيء على صدرى !
راحت تتلوى والدخان يتصاعد منها ، ثم انقلبت
على ظهرها وهمدت نهائيا .. وأقعم الدخان الأسود
الغرفة ..

وأفقت من دعى على صوت (جابريل) الغليظ
يقول وهو يتوارى :

- « إلى الليل أيها الساذج الصغير ! »

★ ★ ★

يا حمقى العالم .. اتحدوا !

★ ★ ★

كأنت أكبر خنفسة رأيتها فى حياتى ..
لم أكن خبيرا فى موديلات الخنافس ، لكننى فى
(سافارى) حيث يوجد من هو خبير فى أمور كهذه ..
لم تكن تفحمت كلها لذا لففتها فى منديل ورقى بحذر ،
ثم نهضت .. سيكون لدى وقت كاف فيما بعد كى ألوم
نفسى على حماقتى وغبالى واتدفاعى .. أما الآن
فعلى معرفة كنه هذه الخنفسة ..

غادرت غرفتى بعد ما ارتديت ثيابى ..

وتجهت إلى معمل الطفيليات الخاص بـ (سافارى) ؛
حيث الدكتورة (هيلين ماكنلى) .. عالمة الطفيليات
الاسكتلندية ذات الروح المرححة والوجه الطفولى
العذب ..

كنت أعرف أنني سأجدها لأنها السادسة مساء ..
وهى فى المعمل دائماً فى وقت كهذا لأنها - على غير
عادة البشر - لا تنام عصراً حتى لو لم تكن مرتبطة
بعمل ..

وكانت هناك فعلاً عاكفة على دراسة مسحة من
الطحال امتلأت بطفيل (ليشمانيا) اللعين ..
دون كلمة تقديم وضعت أمامها المنديل ، وفتحته
كى أريها ما به .. ثم وجهت سؤالى : ما هو نوع
هذه الخمسة ؟

ضحكت ضحكتها الطفولية ، ووضعت عويناتها
وهى تقول :

- « يا له من حماس علمى ! اسمع يا (علاء) ..
لست خبيرة فى علم الحشرات كما تظن .. أنا فقط
خبيرة فى الحشرات المتطفلة .. ولكن .. دعنا نرى هذه
الحشرات جيداً .. »

وتحسست أجزاء قمها بظفرها .. وقلبت الجناح ..
ثم قالت :

- « غمدية الأجنحة .. لا جدال في أنها خنفسة ..
ولكن .. إنها من رتبة (أديفاجا) .. أي الخنافس
أكلة اللحوم .. واضح هنا أنها تشبه .. »

ورفعت إصبعها محذراً كي لا أسيرء قهمها :
- « أقول تشبه خنفسة التمر (سيندلا كامبتريس) ..
هذا لا يعنى أنها هي »

- « هل تزار كالتمر مثلاً ؟ »

ضحكت حتى دبت عيناها ، وقالت :

- « لا .. بحق السماء لا .. إن سرعة حركتها
وقكوكها المسنونة هي ما أوحى بهذا الاسم .. وهي
تدقن يرقاتها في الرمال بحيث تظل رءوسها خارج
الرمل .. ويسهل عليها بهذا أن تلتهم أية حشرة
غافلة تمشى فوقها .. ولكن .. ولكن لماذا أحرقت
هذه الحشرة الجميلة يا (علاء) ؟ »

ناولتها ورقة وقلماً وسألتها أن تكتب الاسم اللاتيني
المعقد لهذه الحشرة .. إن رطانة العلماء تثير غيظي ..
حشرة بريئة لا ذنب لها كهذه سرعان ما يحكم عليها

بأن تتحول إلى (سيسندلا كامبتريس) طيلة حياتها
دون ذنب جثته ..

شكرتها وأنا أنصرف ، وقلت :
- « بالمناسبة .. أنا لم أحرقها .. الشيطان فعل .. »
ضحكت من جديد ، وهتفت :
- « كذا يقول ابني حين أسأله عن سبب كسر
المزهية .. »

لكني لم أكذب لحظة فيما قلت ..

★ ★ ★

إن الليل يدنو سريعاً ها هنا

★ ★ ★

- « سيدي .. إنها آخر فرصة لنا .. يجب اعتقال
(جابريل) و (جيديون) و (هانس) حالاً ! »
وكالعادة احترق وجه المدير ..
صحت أعزّز طلبي :

- « صدقتي .. أنا لا أطلب هذا للتسلية .. بل
لأنهم خطر داهم .. إنهم ممسوسون يا سيدي ..
ممسوسون .. »

وترداد وجه المدير احتقانا كالطماطم .. سينفجر حالا
ليلوث المكان كله بالدماء .. أخيرا استطاع الكلام :
- « د. (عبد العظيم) ! هل تمزح ؟ »
.. « لا يا سيدى .. لكن دعنى أحك كل شىء .. »
وظللت أتكلم حتى التاسعة مساء ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٠ - مقالة عن الذعر المبهم ..

أشياء تحدث ليلاً ..

حقاً هناك أشياء رهيبة تحدث نهاراً .. لكن خير
الأشياء الرهيبة هو ما يحدث ليلاً ..

★ ★ ★

ها هو ذا موقف آخر يريك ما أعنيه ..

المدير يصفى إلى قصتي باهتمام .. من الواضح
أنها كلام فارغ .. لكنه كلام فارغ شديد التعقيد إلى
درجة تجعل نفية عسيراً بعض الشيء .. أخيراً تنهد ،
وضغط على زرّ (الدكتافون) :

- « أرسلنى فى طلب (جابريل) وبروفيسور

(جيديون) و ... » .

ورفع رأسه يسألنى :

- « ومن ؟ - »

- « و (هانس) الألمانى .. وربما (موجازا) لو

أفحق من الغيبوبة .. »

« و (هانس) .. »

ثم أغلق الجهاز ، وعقد أصابعه تحت ذقنه
الشحمية كأنما يفكر في الخطوة التالية .. وسمعنا
صوت مكبر الصوت يتردد ..

بعد دقائق جاء صوت السكرتيرة من جهاز
(الدكتافون) :

- « لا أثر لهم في (سافاري) يا سيدي .. يبدو
أنهم غادروا الوحدة ! »

كان للخبر وقع الصاعقة علينا ..

غادروا الوحدة ؟ ولكن لأين ؟ ولأية غاية ؟

قرب المدير فمه من الجهاز :

- « هل أفاق (موجازا) من الغيبوبة ؟ »

- « لا يا سيدي .. هو في العناية المركزة ، ويبدو

أنه سيموت في أقرب فرصة ممكنة .. »

أغلق الجهاز ، ونظر إلى دون كلام .. بعد دقائق
قال :

- « حسن يا (علاء) .. الأمر واضح .. أنا

لا أصدق حرفاً عن موضوع الاستحواذ هذا .. لكن

لا يمكن أنكار أن تصرفهم غريب .. »

ثم حك عنقه مفكراً :

- « هل لديك فكرة عن المكان الذى ذهبوا إليه ؟ »
- « بالطبع لقرية الساحر يا سيدى .. »
- « ولماذا ؟ هل يوجد سبب قوى ؟ »
- « المستحوذ يحاول العودة إلى جذوره
- لسبب ما .. »



وكان الباقي سهلاً .. لقد استولوا على السيارة
(اللاندروفر) الخاصة بـ (سافارى) ، ولم يستطع
أحد الاعتراض لأن (جيديون) له سن ونفوذ
وسلطات المدير ..

وهكذا صار الأمر واضحاً ..

قال لى المدير :

- « هن ستلحق بهم ؟ »

كان الظلام قد خيم على المكان ، وبدأ أن الرحلة
ستكون عسيرة خطيرة حقاً .. لكننى كنت موقناً أن
أية خطوة لابد أن تتم فى الظلام .. لماذا ؟ لأن
الأشياء الرهيبة تحدث ليلاً .. هذا معروف ..

فى تردد قلت وأنا أنزع معطفى :

- « لا أدري .. لكن لا يوجد حل آخر .. على الأقل أنا بحاجة للقاء زعيم القرية كي أحصل على قلادة أخرى .. »

- « ستأخذ معك سائقًا و (بودرجا) .. »

- « إن علاقتي بـ (بودرجا) هي علاقة التوعمين السياميين لا يمكن فصلهما إلا بجراحة .. »

وتمت الاستعدادات سريعًا .. إن القرية ذاتية على كل حال ، وليس الإعداد لها عسيرًا بحملات ..

ولم يمضِ إلا نصف الساعة حتى مكّنت السيارة تتحرك - سيارة (لاندروفر) بدورها - عبر الطرقات الوعرة قاصدة قرية (مولوك) التي أصرّ على نسيان اسمها ..

قال (بودرجا) وهو يتوأنّب في الهواء مع المطبات :

- « هل هذا وقت مناسب لرحلة كهذه ؟ إنني سأهشم عنقي في حادث أليم .. »

قلت وأنا أظير في الهواء بدوري :

- « كل الدلا .. دلائل .. تقول إنك تعود سالمًا

دائمًا يا (بود .. بود) .. (بودرجا) .. سنلحق به .. بهم حالًا .. »

وعلى ضوء الكشافات كنت ترى الطريق الوعر ،
وترى قمم الجبال سوداء مسربة في السواد من بعيد ..
كأنما هي أرض لم يرها بشري قبلنا .. الويل لمن
ذهب هناك ، وطوبى لمن بقى هاهنا ..

على ضوء الكشافات ترى مجموعة من العمال
عاكفين على نقل ألواح خشبية إلى ظهر شاحنة ..
يتوقف السائق بجوارهم ويسألهم .. ثم يقول وهو
يدير المحرك :

- « يقولون إن سيارة كمسارتنا مرت هاهنا منذ
ساعتين .. »

قلت وأنا أسترخى في مقعدي :
- « نحن في الدرب الصحيح إذن .. »
ونواصل الوثب فوق المطبات ...

★ ★ ★

وعندما وصلنا إلى القرية أخيراً ، كانت الحادية
عشرة مساءً .. ومن البداية أدركنا أن شيئاً ما مهيئاً
يحدث ..

هذا الصمت والظلام التام ، ثم المصدر الوحيد

للضوء القادم من عدد لا حصر له من المشاعل
لا يعلم سوى الله عددها ..

إن التجمعات الليلية التي تحمل المشاعل لها رهبة
لا توصف وهو مشهد يعرفه جيداً كل من رأى دقن
ميت فى ريفتنا المصرى ، على ضوء (الكلويات)
حين يعتبر الريفيون طلوع الشمس على الميت خارج
قبره عاراً أى عار ..

لم يكن هنا ميت ، ولم تكن هناك جنازة ..
فقط وجوه زنجية واجمة .. وعيون لامعة زائغة ..
ورائحة عرق تؤذى الأنوف .

وفى منتصف الحشد وقف الزعيم إياه - البدين
الأصلع - مقطباً وجهها ارتسمت عليه كل إشارات
الخطورة ..

دنونا نجرَ قدماً وراء قدم ..

فما إن رأنا السود حتى أفسدوا لنا ممراً ، ورأيت
الزعيم يرمقنا فيتعرفنا .. تبادل كلمات مع (يودرجا) ،
راح هذا ينقلها لى :

- « يقول : لقد حضونا فى الوقت الملائم لترى

تصيب ساحر القبيلة الجديد الذي سيحمل اسم
(مولوك) ! «

نظرت حولي فلم أر أحدا منهم ..
لكن العربية (اللانروفر) كانت واقفة هناك ، وقد
بدا عليها الإبهام بعد ليلة كئيبة .. وكأنها تستعد
للتعاس ..

سألت (بودرجا) ليسأل الرجل :

« أين هم ؟ »

أشار الزعيم إلى كوخ من الطين الجاف ، ولم يقل
شيئا ..

عدت أسأله :

« ماذا يفعلون بالضبط ؟ »

كان الجواب شافيا :

« يستعدون .. »

« إذن لماذا لا تفتك بهم وتحن كثر ؟ »

« لا أحد يجرف .. إنهم يملكون ذات قوى

(مولوك) الأصلية ، وأنتم قد أضعتم القلادة التي

كانت تحمينا .. »

هنا وضعت يدي على كتف الزعيم الشحيمة ،

وسألت (بودرجا) :

- « لقد كانت القلادة تحوى خنفسة هائلة الحجم ..

لكنها عادية جدًا .. ما هو تفسير ذلك ؟ »

قال الزعيم وهو يرمى الكوخ فى توجس :

- « يقولون إن (مولوك) يتخفى فى شكل

(جنذب) .. وخنفسة النمر تفتك بالجنادب ..

ويقولون إن روح الخير يتخفى فى شكل تلك

الخنفسة .. لهذا يهابها (مولوك) ويتحاشاها ..»

تفسير شاعرى لفظى أكثر من اللازم .. لكن الأمر

كله يتحدى التفسير .. والحقيقة ها هنا هي أن

(مولوك) كان يخاف القلادة ، والقلادة لم تحو سوى

خنفسة .. فما معنى هذا ؟ .

فى اللحظة التالية خرج (جيديون) من الكوخ ..

أقول إنه (جيديون) فقط للدقة .. لكنه - والحق

يقال - كان يختلف عنه فى كل شيء .. بدءًا بالنظرة

الثابتة المتوحشة فى العينين ، ومرورًا بالجذع العارى

والخصر الذى أحاطه حزام ملىء بجماجم الحيوانات

الصغيرة ، والقدمين الحافيتين ..

مشهد غريب .. بل ومضحك لو فكرنا فى وقار

(جيديون) وكبريائه الدائين من درجة السماح ..



مشهد غريب .. بل ومضحك لو فكرنا في وقار (جيديون)
وكبريائه الدائمين من درجة السماحة ..

ورأيت القوم يتراجعون هلعاً .. بعضهم جثا على
ركبتيه وانتحب .. وتساءلت في سرى عن دور هذا
الساحر الذى يثير رعب قومه .. ما نفعه إذن ؟
قلت لنفسي وسط هذه المعمة :

- « لم تعد هناك مشكلة .. لقد ظفر هذا المجتمع
بثلاثة سحرة مرة واحدة .. فقد واحداً فاستعاد
ثلاثة .. سيبقى (جيديون) و (هاتس) و (جابريل)
ها هنا يثيرون الرعب حتى يموتوا .. وأعود أنا
إلى (سافارى) إلى حيث ينتهى هذا الكابوس ..
لا أباتية فى الأمر .. هؤلاء القوم كانوا بحاجة
إلى ساحر ، وعودوا أنفسهم على وجود واحد ..
من دونه يجف الضرع ويهلك الزرع وتهوى
السماء على الأرض .. ليكون .. لهم ما أرادوا إذن ..
أما أنا فراحل الآن .. »

وفى إشارة بليغة أومأت إلى (بودرجا) أن وقت
الانسحاب الكئيم قد جاء .. المهم ألا يشعروا بنا
وسط هذه الفوضى ..

لكن ..

يقولون في مصر : دخول الحمام ليس كالخروج
منه ..

إن هذه الأمثال تكون دوماً صادقة ..
صادقة إلى حد يثير الغيظ !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
HanyAH
www.dvd4arab.com

١١ - عن الجناب والخناس..

أشياء تحدث ليلاً ..

وكما قلت وسأقول دائماً : هناك أشياء وأشياء ..
أشياء تحدث نهاراً يمكن فهمها ، وأشياء تحدث ليلاً
نقبلها كما هي .. ونحمد الله على نجاتنا منها لو
نجونا .. ونطلب رحمته لو هلكنا ..

أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

هذا موقف يفسر ما أقول :

في الظلام الذي استباحته المشاعل ؛ يرفع
(جديون) يده ماداً إصبعه السبابة في رسالة بليغة
جداً : لا تتركوا هؤلاء يرحلون ..

ثم يدنو بتؤدة منا وقد أحاط بنا السود ، ليرمقني
في تهكم .. عيناه صارتا ثقيلتي الوزن حقاً كما يقول
المصورون .. أهميتهما وتأثيرهما يفوقان كل
ما عداهما ..

توقعت أن يقول عبرة سخيفة ما على غرار :

هاها ! لقد وقعتم في قبضتي .. أو : يا حمقى ..
أتحسبون أنكم قادرون على تحدي (مولوك) ؟ لكنه
كان محذرا .. لم يقل شيئا .. فقط ظل يرمقني في
صمت ..

بعد دقائق رأيت (جابريل) يخرج من الكوخ ،
(هانس) من خلفه .. وكأنا يرتديان المنزر ذاته ..
وكلاهما له العينان ذاتهما ..

ولول (بودرجا) كالنكالي :

« دكتور ! إنهم شياطين ! أرواح شريرة ! »

لم أرد .. لكنني وافقته على كل حرف ..

وعرفت أن (جيديون) يريد سجننا في كوخ طينى
مجاور لكوخه .. طبعا حتى يقرر ما يجب عمله معا ..

★ ★ ★

يقتادني الزعيم من معصمى نحو الكوخ الطينى ،
وجواري يمشى (بودرجا) مطلقا صرخاته التى
لا تنتهى .. ويقتاده زنجى آخر ..

همنّا يتكلم الزعيم .. من ثم صرخت فى (بودرجا)
حتى يخرس قليلا .. أريد أن أعرف ما سيقوله الرجل ..
بدأ الزعيم يتكلم ، و (بودرجا) يفسر لى :

- « الزعيم يقول إن خنقصة النمر تعيش في
الرمال خارج القرية .. يقول ألا نجزن لأنه سيحدث
عن واحدة أو اثنتين ، ويصنع لك قلادتين تحمياننا من
(مولوك) .. »

بدا الاهتمام في صوتي وأنا أسأله :

- « حقا ؟ وهل هذه الخنافس مضمونة ؟ »

- « يقول إن بعضها مضمون .. وهو قد ورث
القلادة عن آباء آبائه فلا يعرف أى سحر استعملوه
في قلادتهم هذه .. إنه سيرتجل .. »

- « خنقصة تظل حية منذ عهد الجدود ؟ »

- « هكذا يقول »

هنا خطرت لي الفكرة .. فكرة واهية لكن لا بأس
بها ..

- « (يودرجا) .. هل لك أن تسأله عن أماكن
هذه الخنافس ؟ »

تبادلا بضع كلمات .. راح الزعيم يشير بذراعه
المكتنزة نحو الشرق .. يقول كلمات بالتأكيد على
غرار : عند الجبل الصخري .. عندما ينحدر ظل
القمر .. إلخ ..

فى النهاية قال (بويرجا) :

- « إن وصفه ليس عسيراً .. لكن ماذا تفكر فيه ؟ »

- « الآن قل له إتنا سنهرب ! »

- « أتمزح يا دكتور ؟ »

- « بالعكس .. وأعتقد أنه لن يقاومنا كثيراً وإن

تظاهر بذلك .. »

تبادل (بويرجا) بضع عبارات مع الزعيم ..

ورأيت الأخير يبتسم فى فهم .. وجهه الأسود يلتسع

فى رضا .. وعيناه تغمضان ..

- « قل له إتنا سنهرب شرقاً .. »

- « ما الغرض يا دكتور ؟ »

فى اللحظة التالية جذبته من يده ، ورحنا نركض

مبتلعين ..

انتفض زنجيان يريدان اللحاق بنا ، لكن نظرة

واحدة إلى وجه الزعيم جعلتهما يفسحان لنا الطريق ..

فما إن ابتعدنا عن سور القرية بضعة أقدام ؛ حتى

سمعنا الزعيم يصرخ مستغيثاً .. الغريبان قد هربا ..

الحق أنه كان ممثلاً بارعاً حقاً ، وسادت القوضى

والهرج والمرج ..

★ ★ ★

كنّا نركض لاهثين ..

وسألني (بويرجا) وقد تدلى لسانه برهاقا :

- « دكتور ! إلى أين ؟ »

- « يا .. يا .. ياله .. من سؤال ! ظن .. فتك

فهمت ! نحو أعشاش الخنافس التي وصفها هاها ..

ل .. لك الزعي .. ع .. م ! »

وهكذا اتحدنا فوق مجموعة من الصخور الرملية ..

لتعبر معرا ضيقا في ضوء القمر الفضي ..

وأخيرا أسندنا ظهرينا إلى جدار حجري طبيعي ،

ورحنا نعب الهواء بجرعات كبيرة ..

همس (بويرجا) :

- « لم نبتعد كثيرا .. هل تنتظر أن يلحقوا بنا ؟ »

- « بالفعل أنتظر أن يلحقوا بنا ! »

- « وعندها ؟ »

- « أدعو الله أن يكون حدسي صائبا ! »

وركعت على ركبتي أتأمل الأرض الرملية .. كانت

الرؤية مستحيلة لكنني أستطيع أن أميز نقاطا سوداء

هنا وهناك ..

هل هي ما أريد ؟

★ ★ ★

سنة أضواء تتوهج ..

بالواقع لم تكن شموغا .. ولا كشافات .. بالواقع
لم تكن من أى مصدر صناعى .. وخيل لى أن كل
ضواين ينبعثان من جاتبى رأس شخص ما ..
بالأحرى كان ثلاثة أشخاص يدنون منا ببطء ..

كانوا يعبرون الممر ما بين الصخور مسترشدين
بهذا الضوء العجيب .. وأدركت أنهم (مولوك) ..
(مولوك) الذى وزع ذاته على ثلاثة أشخاص
يتصرفون ويفكرون مثله ..

وكانوا آتين من أجلنا ..

شعرت بكف (بويرجا) المبتلة تعصر كفى ..
كان يحلم بالهرب ، لكنى ضغطت على كفه ففى
صرامة ..

لم تكن شجاعة منى .. بل هو يقين بأن الأمر
يلوق المقاييس المادية المتعلقة بالكر والفر .. وإن
مجرد الركض لن يحمينا من هؤلاء ..

الآن أرى قامة (جيليون) الفارعة .. وقامة
(هاتس) الناحلة .. وقامة (جابريل) المنحنية ..

هناك فرصة لا بأس بها في أن أكون حمارًا ؛
عندها ما الذي يقدر حمار على عمله حين يواجه
ثلاثة شياطين كهؤلاء ؟

وابتلعت ريقى وانتظرت ..

★ ★ ★

كان (جيديون) أول من سقط ..
نظر لقدميه .. ضرب الأرض عدة مرات .. صرخ ..
ثم جثا على ركبتيه وهو يطلق عواء لم أسمع مثله
من قبل ..

وبعدها رأيت (هاتس) و (جابريل) يسقطان
أرضًا وهما يصرخان كالملسوعين ..
يتلويان .. الرمال تتناثر في كل مكان ..
ثم .. يهد كل شيء .. لا صوت سوى الأثين ..

★ ★ ★

(بودرجا) هو أول من مزق الصمت .. وكان
ما قاله طبيعيًا :

— « ماذا حدث يا مكتور ؟ »

قلت وأنا أشعر بالدماء تعود إلى رأسي :

— « اليرقات .. ختفسة النمر تدفن يرقاتها في
وضع رأسى تحت الرمال ، وتظل رعوس اليرقات
خارج الرمل متأهبة للاقتراس .. لقد شعر (مولوك)
بها .. ولكن كان ذلك متأخراً جداً .. لقد اقترست
اليرقات قوته الشريرة »

همس وهو يرتجف كورقة :

— « هل تعنى أنه مات ؟ »

— « لا أدرى .. لكن خطره تدنى .. »

— « وهل تعنى أنهم ماتوا ؟ »

— « يمكننا أن نتحقق .. »

وبحذر وكأننا نتلمس ثعابين غافية ، غائرنا
موضعنا .. ودنونا من الثلاثة المهاجمين ..
جنوت جوار (جيديون) وتحسست نبضه بحذر ..
لم يمت بعد ..

ببطء فتح عينيه ، ولما رأيت النظرة الغبية الخاوية
من المعنى فى عينيه بدأت أطمئن ..
ازداد اطمئنائى حين غمغم فى إعياء الكلمة
الخالدة :

— « أين أنا ؟ »

★ ★ ★

قال (بارتلييه) وهو يخلق الملف أمامه :

- « قصة لا تصدق يا (علاء) .. من شيطاني
وخنفسة .. ويرقات .. وجنادب .. وحالة جنون وفكى
لثلاثة أطباء .. بل أربعة إن لم نتجاوزك .. »

وعقد كفيه تحت ذقنه ، وغمغم :

- « بالطبع لا أصدق حرفاً .. لكنى سعيد بالنتيجة ..
لقد عادت المياه إلى مجاريها وسادت العدالة وعاشت
الحملان جوار الأسود .. »

سأله وأنا أستعد للنهوض :

- « والجنة ؟ »

- « حوكها رجالنا إلى رماد .. »

لم أكن مستريحاً لفكرة حرق البشر أحياء كانوا
أو موتى ، لكنى استطعت إلى حد ما فهم المدير ..

ما كان يملك حلاً آخر ..

- « و (موجازا) .. هل أفاق من الغيبوبة ؟ »

- « ماذا ؟ ألم يخبروك بعد ؟ »

ووضع عويناته ليواصل قراءة أوراقه مردفاً :

- « لقد اختفى من (سافارى) تماماً ! »

★ ★ ★

أشياء تحدث ليلاً ..

هناك أشياء وأشياء .. لكن (موزا) كان
يتحسس طريقه في الدغل عالمًا - بشكل ما - أنه
ينتمي إلى عالم الليل ، وأن عليه ألا يهاب شيئاً في
رحلته الطويلة .. إنه هو الخوف ذاته ..

ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

حقاً لا يمكننا أن نعرف .. فهذا خارج نطاق عملنا
في (سافاري) ..

د. علاء عبد العظيم

أنجاوانديري

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

سافاري

هناك اشياء تحدث ليلاً ..
أنتي تظن أنها ولكن تظن أنها

روايات
مصرية
الحبيب

أشياء تحدث ليلاً



د. احمد خالد توفيق

هناك اشياء واشياء ..

اشياء لاتحدث إلا نهاراً ، واشياء
لاتحدث إلا ليلاً .. هذه الأخيرة تتباين
دوماً .. لكنها دائماً مفرعة أو مخيفة أو
بشعة أو ممنوعة .. هذا شيء طبيعي .
والا فلماذا لاتحدث إلا ليلاً .

www.dvd4arab.com

Hany3H

المؤسسة العربية الحديثة

مجموعات وأعمال
www.dvd4arab.com

جميع الحقوق محفوظة

العدد القادم
الآن تراه !

في شهر ديسمبر ٢٠٠٥
مجموعة ناليدار الشومري
في عصر الدول العريقة والنام